
هُودُو
محاكاة روح
نوفيلا
صابرين الديب
S.D

هودو

محاكاة روح

نوفيلا



جروب حلم-هن

ولنا مع الحرف حلم..

للانضمام للحلم

جروب حلم-هن



بقلم

صابرين الديب

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب



إهداء

إلى تلك اللحظة التي وُلدت فيها هذه الفكرة..

آسفة لحظتي.. عذرًا إلهامي؛ إن "شطحتُ" عن السرد المفترض..

فالنية وحدها.. لا تكفي!..



تنويه

هذا العمل ساخر.. خيالي.. غير واقعي مائة بالمائة..

لذا إن لمحتم أي تشابه بينه وبين الواقع؛ فهو مقصود ومتعمد جدًا..

وأنا هنا أهديكم نظرة ذات مغزى غامض.. وغمزة!..

لكن لكي نعبر هاته الصفحات المعدودة بسلام؛ لنطبق القاعدة الأشهر:

"دعني أخدعك.. دعني أنخدع"..

لا تبحثوا بين حروفي عن معادلة منطقية، فقط أرخوا زمام الخيال واتركوا له الحبل على الغارب..

بداية

لا تمت للأبطال بصلة!

عزيزي القارئ..

مقدمة سخيفة مملة كما ترى، أنا أناديك بعزيزي وأنت تعدو بعينيك فوق الأحرف دون انتباه فنحن لا تربطنا سواها..

عزيزي لنترك الديباجات المكررة ونسأل:

هل تؤمن بالخرافات!..

إن أجبت بنعم؛ فمرحبًا بك بين هذه الأوراق.. كزائر لطيف خفيف الحضور أو عابر سبيل يمضي وقت فراغه في هواية يجدها ممتعة..

أما إن كان جوابك بالنفي؛ فمن فضلك أعد الكتاب للمكتبة وخذ نقودك.. لا داعي لتضييع وقتك ووقتي في محاولات إقناع فاشلة تمط إثرها شفتيك برفض ممتعض قبل أن تسُبني وتمنح أوراقي مجانًا لبائع الفلافل فهي تتشرب بقايا الزيت بشكل رائع..

أراك رغم استيائك لاتزال مصرًا على القراءة!..

سُعدت بوجودك إذًا..

دعني أمسك بيدك قبل الإبحار فأنا لا أريد أن أكون مسؤولة عن دوارٍ يصيبك.. فقط عندما يمر بصرك عبر السطور؛ صدق كل ما تقرأ وإن بدا أشبه بالأساطير..

واستسلم أيها العزيز حينما أخبرك..

الحياة كلها خرافة تنتظر من يؤمن بها!..

(١)

القصة الأخيرة

زائرة المقهى

اليوم هو ما قبل الأخير لها في هذه المدينة الباردة.. كانت سفرة عمل طويلة ومنهكة للغاية، لا تكاد تنهي إحدى الصفقات إلا وتتعقد أخرى!..

بعد غد موعد طائرتها إلى الوطن.. حيث الدفء، العمل الحقيقي.. وصديقة الطفولة الوحيدة، ظلت واقفة عبر الشارع العريض تتطلع لمقهاها المفضل منذ أتت قبل شهر إلى تلك البلدة..

اعتادت أن تتناول قهوتها الداكنة وكعكتها المحلاة هنا يوميًا، ألفت الوجوه التي تتكرر من حولها وألفوها كذلك.. حتى النادل ما إن يراها حتى يرحب بها ببسمة حارة ويسألها ببديهية:

- الطلب المعتاد!..

فتوميء ببسمتها اللطيفة ليغيب دقائق ويعود به إليها..

لن تبالغ لو قالت أن هذا هو المكان الوحيد الذي ستفتقده بعد رحيلها..

عبرت الشارع بخطوات سريعة ودلفت للمكان تخلع معطفها المغمور بالثلوج المتساقطة بالخارج، نفضته وتركته فوق مقعد يواجه مقعدها حول طاولتها المجاورة للجدار الزجاجي للمقهى.. ترقبت حضور

النادل منشغلة بتفحص بريدها الإلكتروني على هاتفها المحمول..

رفعت رأسها في لحظة مباغتة ترمق الطريق المغطى بندف الجليد والسيارات تتحرك بسرعة بطيئة فتبعثرها مجددًا بالهواء قبل أن تسمع صوته المهتم:

- ذات الطلب آنستي!..

استدارت إليه ببسمة مشعة وفي نيتها حوار وداعي أخير..

لكن تحشرجت الكلمات بعرض حلقها وهي ترمق وجهه بذعر!..

لقد كان جلد بشرته يذوب ويتساقط فوق ثيابه المشعثة ورغم ذلك ظل محتفظًا بابتسامته التي أظهرت عظام فكه من الداخل..

كادت تصرخ خاصة مع عينه التي تركت محجرها لتتدلى خارجه في مشهد يليق بإحدى روايات الرعب..

كادت وحسب!..

لأنها في اللحظة التالية سبَّت نفسها وفركت عينيها بإرهاق موقنة من أنها تعاني هلاوس حادة نتيجة قلة نومها..

عندما رفعتهما نحوه ثانية كان يبدو عاديًا بوجهه النحيل وأنفه المستدق وشفاهه الرفيعة المحافظة على ابتسامتها وإن شابها قلق:

- هل أنت بخير آنستي!..

هزت رأسها واستقامت في قرار رحيل مفاجئ..

اليوم لا يبدو أنه سينتهي على ما يرام، تجاهلت وقفته المندهشة وخرجت تمر بسيارتها بلا اكتراث لتشير

لسيارة أجرة عابرة فذهنها ليس صافيًا بما يكفي للقيادة..

وصلت لغرفة الفندق الذي تقيم به، ملأت المغطس بالماء المعطر الساخن ليعادل برودة الجو وانزلقت فيه باسترخاء..

ستنهي حمامها وتهاتف صديقتها لتخبرها عن آخر هلوساتها..

وضحكت بخفوت مرح..

بعد ساعة جففت جسدها وارتدت مئزرها الثقيل عائدة للغرفة، تناولت هاتفها وأجرت الاتصال بانتظار متحفز للرنين على الطرف الآخر..

عندما انفتح بادرت بلهجة شقية:

- احزري ماري ماذا رأيتُ اليوم!..

وصديقتها استهلت حديثها بضحكة قبل أن تندمجان معًا في مكالمة طويلة حكت لها فيها هلاوسها التي سخرت منها "ماري" ثم بعدها طلبت منها باهتمام أمومي الاعتناء بنفسها حتى العودة فهي تشتاقها..

أنهت المكاملة وتدفئت بفراشها تغط في النوم بانتظار يوم العمل الختامي!..

*

منتصف النهار والشمس من المفترض أنها تتوسط كبد السماء؛ لكنها محجوبة خلف غيوم داكنة والجليد بات يشكل طبقة سميكة فوق الطرقات..

وقفت قرب باب المقهى تراقب الجالسين فيه.. تتحفز بعينيها علَّها تلتقط خطأً ما في الصورة لكن كل شيء بدا لها عاديًا للغاية..

البعض ينهون مشروبهم أو حلواهم ويغادرون ببساطة ليحتل مقاعدهم أناس آخرون..

النُدل يتحركون بنشاط بين الطاولات، ونادلها الذي ذاب وجهه بالأمس أمامها يظهر بخير تمامًا!..

سبَّت نفسها مجددًا وعقلها المرهق ووساوسها ثم فتحت الباب متوجهة نحو جلستها اليومية.. دقيقتين وأتاها الشاب النحيل فابتسمت له بأريحية:

- طلبي اليومي..

ومرت دقائق تالية غابت فيها عما حولها منشغلة ببريد عمل هام يحتاج لرد عاجل.. سمعت صوت قدح القهوة وطبق الكعكة يوضعان برفق على الطاولة فاعتدلت بشكر أنيق:

- شكرًا لك..

وتجمدت البسمة فوق شفتيها!..

فهذه المرة كان وجهه ذائبًا بالكلية وعظام جمجمته تظهر ناصعة من أسفل اللحم المحترق..

وزادت.. الرائحة!..

رائحة الموت!..

تلفتت حولها بحثًا عن أحدهم يرى ما تراه فوجدت كل الوجوه على ذات الحال..

الجلد ينصهر تحت وطأة نيران غير مرئية، الدخان ينتشر من اللامكان دون لهب، الصرخات التي انطلقت فجأة..

بموازاة صرخة واحدة منها وانتفاضة ثم سقطة..

تعثرت في طريق الهروب لتجد الفتى يمد يده إليها باهتمام:

- آنستي.. هل أنتِ بخير!..

تراجعت زحفًا وبصرها يرتفع إليه بفزع انحشر بقلبها وعقلها عندما رأته..

وعادت رأسها تدور بجنون في المكان..

فكل شيء كان طبيعيًا..

بل عاديًا لدرجة السأم!..

*****

ركضت تهرول في الطريق، تمر بين السيارات.. ثم سقطت مرتين..

ما يحدث هو جنون..

هي جُنت!..

وحدتها دون حبيب أو أطفال، موت أمها مؤخرًا وفرار أبيها من محيط عائلته بعد ولادتها.. كلها عوامل أطارت صوابها وأصابته بالخلل..

لا تملك من الدنيا سوى عملها.. وصديقة وحيدة!..

دخلت غرفتها بتعثر، خلعت معطفها وعلى الفور كانت تتصل بصديقتها:

- ماري.. أنا أصبت بالجنون..

صرخت بالكلمات عندما فتح الخط بعدها تابعت:

- تكرر الأمر اليوم.. لكنه لم يكن النادل وحده، كان جميع رواد المكان يحترقون!.. أنا أصبحت مختلة وهلاوسي تجاوزت الحد..

بترت الصديقة لهاثها بقلق:

- اهدئي سيسيل.. أنتِ ترهقين نفسك بالعمل فوق طاقة جسدك، عودي بالغد وسنرى..

وظلت معها في مكالمة أطول من سابقتها..

مكالمة انتهت عندما غلبها النعاس وسمعت "ماري" انتظام أنفاسها فأغلقت الخط بانزعاج..

صديقتها في حاجة إليها وتحمد الله أنها سترجع في اليوم التالي حتى تكون قربها وتعتني بها!..

*

ثلاثة أيام مرت منذ حادثتها "سيسيل"..

ثلاثة أيام ولم تعد..

وكل الاتصالات انقطعت حتى أنها الآن في الطائرة التي ستحط بعد ساعة في مطار جينيف..

هي تعلم مكان إقامتها.. وأخبرتها كذلك عن عنوان ذلك المقهى الذي كانت ترتاده وترى تلك الهلاوس فيه..

توجهت للفندق مباشرة من المطار وهناك سألت عن غرفتها وتواجدها ليأتيها الجواب الصادم:

- الغرفة شاغرة لكنها ظلت محجوزة باسمها طيلة شهر مضى، أقامت بها ليلتين فقط ثم اختفت وتركت حقيبتها وراءها..

تمخضت ملامحها عن انفعال بعسر بينما تواجه موظف الاستقبال بحنق:

- ماذا تعني؟!.. لقد هاتفتني من غرفتها هنا قبل ثلاثة أيام فقط!..

هز الرجل كتفيه برسمية مهذبة:

- آسف سيدتي.. لكنها لم تعد منذ شهر والغرفة ظلت لها حتى قبل يومين بعدها تحفظنا على حاجياتها لحين عودتها أو ظهور من يسأل..

لم تفهم.. بل لم تصدق، عقدت حاجبيها بضيق وقررت البحث عن مكانها الآخر الذي تعلمه.. سألته عن اسم الشارع المفترض أنه مقر المقهى فأجابها ببساطة:

- يمكن لسيارة أجرة أن توصلك إلى هناك في خمس عشرة دقيقة..

تركت حقيبتها الوحيدة بالغرفة التي حجزتها وخرجت من فورها متوجهة نحو أملها الأخير..

طافت بالشارع الطويل مرتين حتى قتلته بحثًا دون أن تلمح الاسم الذي تعرفه.. بالنهاية وعندما شعرت

باليأس أوقفت إحداهن لتسألها عنه.. وكانت الصدمة الثانية:

- رباه.. ذلك المقهى الذي احترق قبل شهر!.. هو هناك عند الدوران التالي، مالكه سيبيعه بعدما حدث..

ونبض قلبها بقسوة هادرة بين ضلوعها:

- وما الذي حدث!..

أومأت المرأة بأسى:

- إحدى ماكينات القهوة انفجرت بغتة واشتعلت النيران في كل شيء حولها.. يقولون أن المكان كان ككتلة من اللهب في غضون ثوان..

- وماذا عن رواده يومها!..

نفت بيسر غريب كأنما تتحدث عن الطقس:

- لم ينجُ أحد..

أشارت إليها لتقودها نحو الموقع المنشود وحديثها لا ينقطع عن الحادث وتبعاته..

توقفت تراقب آثار الاحتراق على الجدران الخارجية للمبنى، الزجاج المتكسر والذي لم يفلح الجدار القماشي الموضوع لتغطيته في عزله بالكلية..

- يقولون أن كل من كان هناك يومها أمسكت به النيران حتى ذاب تمامًا!..

ثم رحلت عنها وتركتها لمأساتها الخاصة..

بل رعبها!..

هل ماتت صديقتها "سيسيل" في ذاك اليوم!..

إذا من تلك التي كانت تهاتفها كل ليلة حتى سقوط إحداهما في النوم!..

وإن لم تمت؛ فلماذا كذبت عليها بخصوص المقهى وهو محترق بعد يومين من مجيئها للبلدة!..

يومين!..

وتصاعد رنين الرقم بعقلها..

يومين واختفت من الفندق!..

يومين واحترق المقهى!..

هل احترقت الصديقة دون أن تعلم!.. كانت روحها تقوم بما تفعله هي كطقوس اعتيادية حتى تفاجئت بالحقيقة!..

أنها.. شبح!..

"ماري.. لقد أتيتِ"..

كان صوت "سيسيل" من خلفها.. تصيح بمرح سعيد وعندما التفتت إليها سمعتها تردف:

- وعلمتِ مكاني المفضل أيضًا!..

اكتملت استدارتها.. لترى الوجه المحترق.. الجلد الذائب واللحم الناضج!..

تصلبت في وقفتها للحظات وصاحبتها تقترب بابتسامة واسعة أظهرت فكها بالكامل..

تمد يدها المحترقة إليها..

تهش وتسعد وتشير بدعوة!..

وشعرت بالحرارة فوق رسغها، تأملته لتجد الأصابع المشتعلة بلهيب النار تلتف حوله، تحرقه..

صرخت ألمًا.. صرخت هلعًا..

وهربت..

فمن أتت لأجلها باتت شبحًا يحاول جرها لعالمه، وهي لا تريد الموت بعد!..

تمت بحمد الله

إيزيس عادل

****

عفوًا..

هل قرأتم قصتي الأخيرة!..

لم أكن أود أن يتم التعارف بيننا بهذه الطريقة المخيفة..

لكنكم أتيتم في وقت حاسم..

أتيتم وأنا أضع اللمسات النهائية لأحدث مجموعة قصصية أكتبها.. فعذرًا على الاستقبال غير اللائق..

حسنًا.. لنتعارف كما ينبغي..

كما قرأتم قبل قليل.. اسمي هو "إيزيس عادل"..

اسم فرعوني أنيق انتقاه لي أبي عاشق التاريخ وأساطيره..

مهنتي كما ولابد أنكم خمنتم.. كاتبة، يمكنكم تخصيصها أكثر لأنني..

"كاتبة قصص رعب"..

لستُ بالشهيرة التي يحاوطها معجبيها في كل مكان، وكذلك لست بالمغمورة المجهولة التي لم يسمع عنها أحد..

يقولون أن لديَّ موهبة جيدة لا أتقن استخدامها، لكنني لا أتاجر بالحرف..

أنا أكتب لأجل الشغف..

أراكم تستغربون شغفي بالرعب!..

لا تقلقوا أو تخافوا.. شغفي ذاك لا يقترب من الدماء وحمرتها القانية التي تثير التقزز بنفوسكم..

أنا لي عشق من نوع خاص..

الأرواح والأشباح وعوالمها السفلية والحقيقية..

هل أخبرتكم أنني أؤمن بالخرافات!..

لا.. لا..

ليس مصاصي الدماء الحالمين أو الزومبي أكلة الأمخاخ، ذلك مثير للاشمئزاز..

يمكنني استثناء المذؤوبين فهم ظرفاء، لكنني لا أصنفهم في خانة الرعب..

أؤمن بلعنة الفراعنة التي أصابت كل من فتح مقبرة..

أؤمن بعوالم ما خلف المرآة، بالخبال الذي يمكن أن يصيبني إن أكثرت من التطلع إلى نفسي فيها..

أن تجذبني قرينتي إلى هناك وتحتل مكاني وبيتي وتصادق أصدقائي..

أؤمن بذاك الوحش المختبئ تحت فراشي وأتأكد من تغطية قدماي جيدًا لأنه سيبدأ أكلي من أطراف أصابعي الباردة..

أؤمن بالجاثوم..

وأستيقظ فزعًا أحيانًا حينما يراودني كابوس بشأنه..

الخرافات التي أؤمن بها هي التي تلامس أرض الواقع بخربشات أظافرها..

هل تسخرون من معتقداتي!..

حسنًا لمَ لا أريكم بشكل عمليّ؟!..

اربطوا الأحزمة واستعدوا للإبحار..

تمامًا كما كتبتُ في مقدمة مجموعتي، لا أريد أن أقنعكم بخرافاتي لكن فقط استسلموا لتيارها ولو بشكل مؤقت..

واستعدوا للرحلة الشاقة حيث أن الطريق وعِر ممتلئ بالعقبات..

فأنا.. على وشك القيام بجلسة..

استحضار روح!..

(٢)

ماذا لو طلبت حلوى الشيكولاتة فأتاك النادل بالبيتزا!..

أنت تعشق الاثنان..

ترى أيهما ألذ!.. وهل تغني الثانية عن الأولى!..

***

عدنا..

إمممم.. ماذا جرى!..

أرى أن عددكم بات أقل بعض الشيء!..

جيد..

أنا أريد المؤمنين منكم..

أريد هؤلاء الذين يمتلكون البصيرة والفطرة والاستعداد للإيمان..

نحن على بعد دقائق من بدء الجلسة ووجود المشككين سيضايق الروح وربما يغضبها، وهذا الانزعاج قد يعرضنا للأذى!..

مهلًا.. لا تركضوا، لا تخافوا، التزموا الهدوء..

لو طبقنا التعليمات كما قرأتُ عنها ودرستها لوقت غير محدود، ستخرجون من هنا متخمين بشعور من النشوة..

لماذا!..

متعة التجربة يا أعزائي..

المخاطرة، المغامرة واستكشاف عالم جديد..

أظن أن ما سنحصل عليه لن يختلف كثيرًا عما حظى به "كولومبوس" عندما اتجه إلى الغرب فاكتشف الأرض البكر.. صحيح!..

أنا لا أبالغ..

هيا..

استعدوا، مُرحبٌ بالدهشة، الاستغراب.. والصمت..

لا نريد أن نخيف الروح هنا وقد جاهدتُ لانتقائها والحصول على "الأطر" الخاص بها من المشفى حيث توفاه الله..

تسألون من اخترت!..

ببساطة ودون تعقيدات هو كاتبي المفضل رحمة الله عليه..

الكاتب "أمجد سالم"..

قدوتي في عالم الرعب ومثالي الأعلى والذي توفي إثر أزمة قلبية قبل شهرين تاركًا لي ولجيلي من الكتاب كنزًا من أعماله نقتات عليه أبد الدهر..

هل نبدأ!..

استرخوا..

استحضروا كل طاقتكم الإيجابية وهدوء أنفسكم وأنفاسكم.. امنحوا الروح القادمة جُل انتباهكم واحترامكم وإلا فالويل لي ولكم..

هلا أطفأ أحدكم الأنوار فضلًا!..

نعم كما فهمتم تمامًا..

الأرواح تفضل الظلام، الأضواء تؤذيها للغاية وأنا لن أعرض كاتبي المفضل للأذى..

الآن طلبي الأخير لأنني أقوم بالجلسة بصحبتكم أنتم..

أيمكن أن يتبرع واحد منكم بجسده ليكون الوسيط بيني وبين روح كاتبي!..

لا تهلعوا رجاءً..

الأمر ليس مخيفًا إلى تلك الدرجة، فقط اختاروا واحدًا لم يتناول عشاءه بعد، لا تخشَ شيئًا.. التجربة ممتعة والمغامرة شيقة تستأهل لحظات الخطر..

من فضلك يا من تبرعت بجسدك؛ لا تأتِ بحركات مباغتة.. وكذلك أنتم أيها الحضور الطيب، أنزلي ساقك عزيزتي فاحترام الروح واجب..

كل شيء معد، أضأتُ المصباح الأحمر في ركن الغرفة، وضعتُ الطبق الممتلئ بالماء في مكان منفصل..

هيا إذًا..

عزيزي الوسيط..

قد تشعر بقوة ما ترفعك لأعلى فلا ترتعب من فضلك..

قد يغمرك الدفء أو تشتعل خلاياك دون احتراق..

قد تتخدر أطرافك أو تفيض بالسعادة المفاجئة..

وربما أيضًا ترى ألوانًا متباينة وأضواءً لن يراها سواك..

ستغوص بعالم الأرواح.. وقواها ستحتويك..

ستتحدث بلسانه أو يستعير هو صوتك لكنني الآن أحقق أمنيتي التي خمدت بموته..

سأسرد على كاتبي كل ما أريد من تفاصيل وأستمع لنصائحه وأستقي من خبراته..

دقة.. اثنتان.. ثلاث..

هل حضرت الروح!..

صمت..

صمت..

صمت..

دقة.. اثنتان.. ثلاث..

هل حضرت الروح!..

اهتزار خافت بستائر النافذة الداكنة أرسل قشعريرة مرت بعمودي الفقري، انتظرتُ وتوقعتُ جوابه.. صوته الرخيم ذي البحة يسيطر على أحبال وسيطي وينطق عبره بتحية..

لكن.. لا شيء..

مرت الدقائق والحال ظل كما هو..

يبدو أنني فشلت!..

فمثالي الأعلى لم يأتِ..

***

احم..

حسنًا.. مرحبًا..

نتعارف!..

أدعى "أمجد سالم"..

لاسمي رنين موسيقي صحيح!..

كاتب.. مبتدئ، ويمكنكم القول بأنني مغمور متهم بسرقة أفكار الأفلام الأمريكية..

لكنني برئ من هاته التهمة؛ هناك فقط تشابه بين قصصي المعدودة وبينها..

أستطيع تسميته بالتوارد..

نعم..

توارد أفكار!..

كتبت ما يقرب من ثلاث روايات من القطع المتوسط نُشرت جميعها مع دار نشر لا تهتم لجودة العمل قدر اهتمامها بمشاركة كاتبه في طباعته وتسويقه..

كنتُ مدينًا لأصدقائي بمبلغ ليس بقليل وبحكم الصداقة تغافلوا عنه لأجل المجد الذي أصنعه..

لأجل يوم سيشيرون فيه إليّ بفخر مهللين بقربهم الشخصي من الكاتب الكبير والشهير..

الذي من المفترض أنه أنا..

نشرتُ الكترونيًا عدة قصص قصيرة أعجبت نصف متابعي ونقدها النصف الآخر بقسوة؛ قسموا أنفسهم

لفرق.. رداءة الفكرة، ضعف الحبكة، التكرار.. الملل!..

لا أعلم.. لكن هم أعداء النجاح المعروفون..

والشجرة المثمرة يقذفها الأوغاد بالحجارة كما تدركون..

إذًا..

هذه هي كل المعلومات التي تهمكم عني..

كاتب خيال علمي، ثلاثيني وسيم بندبة جذابة أسفل شفتي، وذقن غير حليقة تشبه أبطال الروايات الرومانسية..

أعيش وحدي دون زوجة.. أو أخوة بعدما نزحت من قريتي لأطارد مستقبلي بالعاصمة..

مدخن شره..

أشرب القليل من الكحول بين الحين والآخر، فهو من سمات فئة العباقرة التي أنتمي إليها..

التبغ والخمر و...

النساء!..

بالطبع..

آه..

نسيت أن أخبركم أهم شيء عني، أهم ما في الأمر..

أنا..

ميت!..

نعم..

كما قرأتم الأحرف الثلاث، لا تفركوا أعينكم.. الكلمة حقيقية تمامًا..

أنا تلك الروح التي استحضرتها كاتبة الرعب المهووسة دون وعي..

لستُ أنا من أتت تبحث عنه؛ لكنني متاح للحضور، متعلقٌ بهذا الخيط الفاصل بين الحياة والموت.. متمسكٌ بالعودة..

تشابه الأسماء ذاك كان دومًا من حسن طالعي..

فبعض جمهوري الذي يفهم ما أكتب حد التقديس يخبرني أنني خليفته، الكاتب الآخر الذي يحمل نفس الاسم.. بل سأتخطاه في يوم ما بعبقريتي التي تتجاوز حدود عبقريته..

البداية هذه المرة تختلف..

أنا عائد من العالم الآخر الذي ذهبت إليه بحماقتي..

وأنوي التشبث بالحياة الجديدة..

فقط..

أحتاج لجسد يناسبني..

لنبدأ البحث إذًا، حيث أن خطتي الأساسية طرف خيطها معها..

إيزيس..

بطلة الأسطورة وصانعتها..



(٣)

يبحث الانسان منذ الأزل عن ذاته..

وعندما لا يجدها..

يرضى بالمتاح!..

***

أنا ثانيةً..

الكاتبة حديثة العهد بعالم الأرواح لم تحضر وسيطًا مناسبًا لأحتل جسده!..

الآن أنا هائم أبحث لي عن مستقر..

اختيار مؤقت حتى أصل إليها وإلى الاختيار الدائم المناسب الذي يشبهني فيما مضى..

لكن يا ترى.. هل لو أخبرتها من أنا حقيقة ستستجيب!..

أراكم تجيبون بالنفي..

نعم لديكم كل الحق.. إذًا وحتى إشعار آخر أنا الكهل "أمجد سالم" كاتب الرعب العتيق عبقري الأفكار ومدير مسرح دمى الخيال..

تلك الفتاة مختلة أو غبية..

حاولت استحضار الروح بغرفتها.. بمنزلها..

ظللتْ النوافذ وأظلمتْ المكان وأعدتْ كل المطلوب لكنها نسيتْ الأهم..

الوسيط!..

طفتُ حولها وقد أعادت كل شيء لموضعه، وكما أرى تستعد للنوم..

يبدو على ملامحها الجميلة الإحباط..

جميلة!..

يالي من أحمق..

كيف لم أنتبه لذلك الجسد من قبل!.. لهاته الخصلات السوداء كليل بهيم، الطويلة بتموج مغوٍ..

كيف غفلتُ عن بشرتها القمحية بدرجة ساحرة!..

كيف لم أرَ هذين النهدين وتلك المؤخرة المستديرة كما تقتضي مقاييس الجمال العالمية!..

كاتبة الرعب تمتلك منحنيات قاتلة..

وعيناها!..

حسنًا.. دعنا من خضرتهما الداكنة..

من ينتبه للأعين وبين يديه هذا الجسد المثير!..

اقتربت منها بينما تعبث بهاتفها قبل خلودها للنوم، شفاهها المكتنزة ممطوطة بحنق.. تزفر كل دقيقة تقريبًا، لا تجد ما تفعله.. انزلقت في فراشها وبصرها معلق بالمجهول..

فجأة.. وجدتُ ضالتي!..

قط ضخم كثيف الشعر أبيضه، بعيون زرقاء وكسل خطوات واضح..

تعلق بالشرشف حتى جاورها، استكان بين ذراعيها فهمستْ له بشيء ما لم أتبينه وراحتْ في النوم..

أهدابها كثيفة تلك الكاتبة..

أكرر اللقب أعرف..

ربما لأنني مبهور بإمكانية اجتماع الفتنة والسحر بصحبة الذكاء والثقافة..

أعرفها كما خمنتم..

قرأت لها روايتين وأعجبني شطحات أفكارها لكن لمسة النعومة أوقفتني حينها فنالت مني نقدًا لاذعًا..

لمَ أشعر في هاته اللحظة أنني أشبه وغدًا يمسك بحجر!..

لا يهم..

ما يهم أنني تسللت بطواف أخير واستقررتُ بالجسد المشعر الكامن بأحضانها، انتفض لثوان ثم استقر هادئًا..

نعم..

سكنتُ قطها الأليف وغبتُ في نعاس بعد مواء لطيف..

أشرقت الشمس وظهرت ذهبيتها من خلف الستائر الفاتحة التي عادت لطبيعتها بعد فشل تجربتها كما تظن..

تمطيتُ لأجدها لاتزال في سباتها..

قفزتُ فوق جسدها وأعجبني المشهد حقيقة..

لكنني للأسف؛ مجرد قط!..

دنوتُ من فكها وعنقها وبدأت ألعقها بمثابرة.. نحتني بهمهمة واستدارتْ لتُسقطني باستياء، لم أستسلم.. دُرتُ حولها ولامستُ أنفها بلعقات متتابعة لا تيأس..

في لحظة أعجبني الأمر فتوجهتُ نحو اكتناز شفتيها باشتهاء أظنها لم تدرك تفاصيله..

تأففتْ قليلًا ثم أبعدتني بكفها بتذمر:

- أوزو.. سيبني أنام..

"أوزو!"..

ما هذا الاسم المريب!..

بالطبع لم أتركها..

بعدما مللتُ خدشت ظاهر كفها برعونة أجبرتها على صراخ:

- أوزوريس.. أنت بتستهبل!..

مؤكد أنني "بستهبل"..

واسم القط!..

الفتاة بها نفحة من جنون..

هي "إيزيس" وأكملت الأسطورة باسم قطها..

أردتُ إعلامها بوجودي فتهاديتُ حولها بمواء متحفز لم تفهمه..

نظرتْ إليّ بغباء حتى توجهتُ إلى الرواية التي تحمل اسم كاتبها والمستقرة فوق الطاولة الجانبية إلى جوارها..

وضعت كفي الصغيرة عندها وضربتها عدة مرات وهي تتأملني ببلاهة وتفرك خدش يدها..

في النهاية ألقتْ بالغطاء واستقامتْ تسبني بضيق:

- أديني صحيت.. مبسوط كده!..

راقبتها تنزع عنها سترة منامتها بغتة بانفعال:

- كنت بحلم حلم حلو يا سي أوزو الله يسامحك..

ربما نامت تحلم بي..

عفوًا..

الكاتب الآخر!..

سترة المنامة كانت تخفي أكثر مما يجول بخيالاتي الماجنة حولها، منحنيات فتنتها لم تكن قاتلة.. بل كارثية!..

شعرتُ بضربة في معدتي وعيناي لا تحيدان عنها..

عن سحر لون بشرتها وتفرده، عن خصرها النحيل وحمالة صدرها الكريمية..

ترى هل ستخلعها!..

ألقت فوقي بالسترة بينما تأمرني بغنج متبرم:

- ما تبصش..

يالسخرية..

والحماقة..

رمقتُها بنظرة بليدة تليق بقطها السمين..

وحاصرتها بتأمل لو علمتْ مفاده لذبحته ربما..

أتعلمون!..

قد أظل لفترة ما في ذلك الجسد..

فالزاوية التي أنظر منها الآن.. ممتعة بشدة..

ارتدتْ قميصًا قطنيًا أخضر اللون تناسب مع عينيها بألق استثنائي، أشارتْ إليَّ وأصابعها تزرره وخطواتها تخرج من الغرفة:

- تعالى يا أستاذ..

تبعتُها إلى المطبخ لأجدها تسكب لي بعض الحليب وتضع في طبق آخر طعام قطط!..

حسنًا.. بدأتُ أشك في ذكائها.. وفي نفسي!..

أنا رجل..

رجل طبيعي للغاية، محشور بجسد قط مدلل ثقيل الحركات..

رجل له رغباته..

وأمامه أنثى قامت للتو باستعراض تعرٍ ساخن، ترى هل تتحجم خواص روحي كذكر بشري لتلائم الوعاء الذي يحتويها!..

هل أشتهي النساء أم أموء بجوع عندما أشتم الحليب!..

بدا الأمر سفسطائيًا بطريقة مربكة فقررتُ صبَّ جام سخطي عليها..

تعالى موائي حد الصراخ، أعلنتْ غضبها مني وخرجتْ تتركني خلفها، عندما حاولتُ اللحاق بها اصطدمتُ بالباب الذي أُغلق في وجهي..

حقًا يا فتاة!..

امتلأتُ بالغضب واستكنتُ في ركن بحثًا عن فكرة تنبهها إلى وجودي..

فكرة لم أظن أنها ستأتيني على طبق من ذهب في طرفة عين!..

***

أنا محبطة..

بعد كل تلك المشقة التي تكبدتُها في استحضار روح كاتبي المفضل رحمه الله، وبعد كل ذاك الجهد المبذول؛ فشلت الجلسة ولم أستطع التواصل معه..

بل لم يأتِ من الأساس رغم أنني قمتُ بكل الخطوات الصحيحة..

ثم بعدها..

يأتي ذلك اللطيف الظريف خفيف الدم.. والعقل!..

ناشري الأحمق، ليتدخل في عملي..

كأنه جهبذ، علّامة ونصائحه هي التي رسمت درب النجاح والصمود في سوق لا يبالي سوى بالـ..

الوقح قليل الحياء نطقها بكل صفاقة بوجهي الذي احمر.. نطقها دون اعتبارات..

لكن دعوني أخفف لكم وقع الكلمة..

ناشري يريد "مشاهد"..

نعم كما فهمتم تمامًا، مشاهد حميمية.. في قصص رعب!..

وأنا لي مبادئي التي لا أتخلى عنها..

لن أجاري السوق ولو توقفتُ عن النشر..

أنا أيضًا غاضبة وجرح يدي يؤلمني.. "أوزوريس" الأبله خدش يدي في محاولة لإيقاظي صباحًا لأنه جائع..

كانت أمي لتطعمه لو طلب منها..

ماذا!..

أووه.. انتبهتم للاسم.. لطيف أليس كذلك!..

عندما أهدانيه أبي أطلقته عليه فورًا، يليق به وبي..

لكنني أدلله باختصار مميز.. "أوزو"..

شقيقتي الصغيرة المزعجة تناديه "ريس" ويستجيب لها..

حبسته في المطبخ قبل ساعة بعد غضبه غير المبرر رُغم أنني وضعت له طعامه وحليبه..

الآن سأقوم بتعديل طفيف في مجموعتي القصصية قبل النشر..

عدة مشاهد أخرس بها الجهبذ، لكنها ليست ساخنة إلى تلك الدرجة!..

ماذا!..

بالطبع لا.. لم أتخلَ عن مبادئي، لكن لا ضير في جذب شريحة جديدة من الجمهور النسائي الذي يذوب لقصة العشق بين الجميلة والوحش.. صحيح!..

تبًا..

نظرتُ أسفل قدمي فإذا به اللعين قد أخرجه أحدهم من محبسه، حملته لأضعه فوق ساقي بتأنيب:

- أوزو.. أنا زعلانة منك..

وأريته يدي المجروحة بدلال:

- ينفع كده!..

تعلق بي ولعق وجهي وعنقي كأنما يصالحني، ابتسمتُ برفق ومسدت عنقه فخرخر باستمتاع:

- باقولك إيه.. أنا هاعمل تعديل صغير كده على المجموعة بتاعتي، إيه رأيك تقعد جنبي!..

قفز فجأة وهدر بحدة..

لم أفهم!..

راقبته يعود إلى تلك الرواية بجانب فراشي..

يقف قربها ويضربها بكفيه الصغيرتين..

يعوي بضجة ويلامسها برأسه وأنا حائرة:

- أنت عاوزني أقرا لك حدوتة ولا إيه!..

همستُ بها ساخرة ليهسهس في وجهي بتحفز..

يشير إليها إشارة أخيرة ثم يتوجه إلى طاولة الزينة فينظر لنفسه بالمرآة..

يقترب مني ويصعد إلى مكتبتي..

يسير بتمهل أمام مجموعتي المفضلة من كتابات "أمجد سالم" بخطوات شامخة..

يموء بهدوء وعيناه لا تفارقان عيني..

رباه!..

لقد فهمت..

كاتبي أتى..

لم يخذلني..

أتى واستقر بجسد قطي الأليف!..

وضربتُ رأسي في شعورٍ طاغٍ بالغباء:

- نسيت الوسيط!..

بالطبع نسيته..

فلم يتبرع منكم أحد..

أنتم وهمٌ في خيالي على أية حال..

وكارثة أخرى..

لقد تعريتُ من ثيابي أمامه بسذاجة..

احمرت وجنتاي وتجاهلتُ التعليق على الأمر لتتمزق حبال أفكاري دفعة واحدة..

ففي الثانية التالية وجدتُ الصغيرة الشقية تندفع إلى غرفتي بضوضاء مغيظة:

- إيزي.. ماما بتقولك تعالي حضري معاها الغدا..

وتلاقتْ نظرتي مع نظرة "أوزو" وعيناه اللتان برقتا بفكرة!..

قلق..

صمت..

تفكير..

استيعاب..

وموافقة..



(٤)

عندما يكون بيننا وبين ما نشتهي شعرة..

يبدأ التنازل بخطوة..

****

في لحظة غادرتُ الجسد السمين وتسللتُ إلى الآخر النحيف ضئيل الحجم..

نعم فتاة صغيرة نحيلة، لكنها بشرية.. لها لسان وعقل..

أخيرًا يمكنني الكلام..

الطفلة كانت ترفض حضوري، تقاتل باستماتة للسيطرة على جسدها..

تريد العودة والظهور..

ظلت "إيزيس" تراقبني بانتظار متوتر حتى التفتُ إليها ببسمة هادئة لا تناسب ملامح شقيقتها المخبولة وبنبرة بطيئة ثقيلة:

- أهلا إيزيس..

لدهشتي غمر وجنتيها حمرة قاتمة فبدت على وشك الانفجار..

لقد كنتُ على حق عندما أعلمتُها أنني كاتبها لا كاتبًا يشبهه بالاسم فقط!..

كان يبدو على وجهها التحفز، جسدها ينتفض بإثارة وكل إشارة منها تعني انتظارها لبليغ الحكمة التي ستخرج من فمي وتهبها النصائح والأفكار..

هذا فخ ووقعتُ فيه..

حافظتُ على ابتسامتي وتقمصتُ الدور حد التلبس التام..

ظلت تتأملني بتبجيل أقرب للتقديس، تتحدث في الكثير من الأمور.. تغدق علي بمعسول الكلام والمديح الذي تنتفخ له موهبتي الفذة..

عدا أنها لا تتحدث عني أنا!..

تناقشني في روايات لم أكتبها، تفاصيل أحداث ليست بقلمي وتنهي الحوار ببسمة حالمة لا تشبه كاتبة رعب:

- أنت بجد الأيدول بتاع جيلي كله..

حسنًا.. حان وقت العمل الجاد، والخروج من عباءة الكهل.. فلتتلبس روحي العابثة روحه ولنرى..

أهديتُها بسمة مقدرة وادعيتُ التواضع:

- أنا قريت لك.. ودماغِك عاجباني..

ثم ملتُ نحوها بشقاوة مرحة:

- بس أنا مش عجوز قوي كده..

تراجعتْ أمامي بحرج وبدأتْ تبرر.. تدافع.. تسوغ منطق حديثها وأنا أتقبل ذاك منها بكرم، أستمع بتنازل وأحافظ على البسمة المتفهمة..

ومللتُ..

تلك الفتاة ثرثارة لأقصى حد..

لو كنت رجلًا لأخرستها بقبلة، فهذا ما تستحقه شفتاها..

وربما ما بعد القبلة!..

أوقفتُ سيل حديثها الذي لا ينقطع بإشارة:

- إيزيس.. أنا محتاج جسم ينفع أعيش فيه..

رمقتني برهبة..

تباعدتْ بعض الشيء وطفقتْ تتطلع إليَّ بتوجس لم أفهمه حتى أوضحتْ:

- أنت مش هترجع عالم الأرواح!..

مزيج من التناقضات المدهشة تجتمع في هذه المرأة..

فتنة، سحر، أنوثة.. ذكاء.. وغباء منقطع النظير!..

أخذتُ نفسًا عميقًا بطيئًا وسألتُ الله أن يلهمني الصبر، بعدها سردتُ عليها حكاية خيالية عن العجوز الذي لم يكتفِ من الدنيا بعد..

المسكين الذي بعد رحيله ظلت روحه معلقة بمن غاب عنهم..

يقترب فلا يشعرون به..

يلمس فلا يتأثرون..

يهمس فلا يسمعون..

يبكي فلا يطيبون خاطره..

روح معذبة هائمة في ضلال تفتش عن مستقر..

لم تنتقل لعالمها الآخر، ولم تبقَ في جسد صاحبها..

روح وعثرت على مبتغاها وضالتها عندما استدعتها هي..

محررته ومنقذته.. ولها كل الفضل في عودته..

لا بأس من شيء من الانتفاخ أصيب به غرورها.. صحيح!..

استرختْ في جلستها تستمع للصوت المتخم بالحزن والضعف..

تتأمل وجه أختها وكأنها ترى ما خلف الملامح الطفولية بعين مهتمة..

بعد سكون لم يدُم طويلًا سألتني:

- يعني محتاج أي جسم ولا في شروط معينة!..

جيد..

الفتاة استوعبتْ.. وخضعتْ!..

الآن يعجبني ذكائها وعاطفتها..

قصصتُ عليها المطلوب بالتحديد..

الوقت المناسب والطريقة وكل ما يمكن أن يسهل عودتي لتقاطعني بدهشة:

- يعني لازم يكون ميت.. لسه ميت حالًا!..

أجبتُها ببصيرة نافذة:

- أكيد.. ما هو مش هاسكن جسم متحلل..

ابتسمتْ بخجل طفيف ورددتْ أنها فطنت لمقصدي..

عادتْ تسألني بشغف غريب:

- طيب لو جسم حي، ممكن تفضل فيه قد إيه!..

مططتُ شفتاي.. عفوًا؛ شفتا الفتاة الرفيعتين ببديهية:

- على حسب تقبل الجسم واستسلام روح صاحبه..

وعدتُ أقترب منها ببسمة مداعبة:

- يعني مثلا أختك؛ بتحاول تطردني دلوقتِ وبعنف..

وارتجف جسدي في دلالة على ما أقول قبل أن تسعى الصغيرة المرهِقة لطردي منه، تتشبث كفاها بيد أختها في رعب:

- إيزي..

وأعود لأسيطر بعد ثوان من الهلع طغتْ على ملامح فاتنتي..

أهديها بسمة متوترة متألمة:

- لازم حل سريع، أو على الأقل جسم مضيف حي يقبل وجودي بشكل مؤقت لحد ما نلاقي البديل الدائم..

صمتتْ لدقيقتين كاملتين ثم برقتْ عيناها بانتصار:

- لقيته..

"ناصر قنديل"..

ناشرها..

الذي يثير حفيظتها وغضبها..

وجسدي القادم..

كنتُ أعرفه بعض الشيء، وتلك المعرفة أشعرتني بالغبطة عندما اقترحته..

الرجل عربيد من الطراز الأول، له سهراته ولياليه.. ونساؤه..

وناوشتْ ثغري بسمة ماجنة لم ترها..

ستكون أيامي المقبلة وإن كانت محدودة.. مبهرة!..

***

كانت جلسة مثمرة..

ممتعة مثيرة وصعدتْ بنبضاتي لحد غير مقبول بين البشر..

أنا.. وهو!..

كاتبي ومثالي الأعلى..

الذي وجدتُ خفة روحه وظله تأسر قلبي وعقلي معًا..

كاتبي الذي يحتاجني في مهمة انسانية.. قومية وصعبة..

بكيتُ عندما أخبرني أنه لم يكن مستعدًا للرحيل، لم يكتفِ من أحبائه أو يشبع من أحضان أولاده..

لم يكتفِ من الدنيا نفسها بعد..

عندما حاولتْ شقيقتي طرد حضوره من جسدها أصابني الرعب..

فرُغم إيماني بالخرافات وعشقي للبحث عن كل ما هو جديد غير مطروق منها؛ كانت هي صغيرة.. ضعيفة، حبيسة سجن خفي سجانه روحًا استعمرتْ أرضها..

طمأنني ببسمته التي أظنني أحفظها حتى لو كانت فوق شفاه طفلة..

أخبرني عن تفاصيل عودته التي رحبتُ بها..

واقترحتُ اسم ناشري، الذي أكرهه بالمناسبة..

ماذا عندما يحتل جسده!.. أتراني قد أسقط في غرامه حينها!..

بعد ساعتين فقط كنت أدلف لمكتبه.. ألقي أمامه بأوراقي وأتعنت في كتابة ما طلبه مني بغضب، وبصحبتي.. قطي الأليف..

نعم.. اقترحت عودته لجسد "أوزو" لسهولة الحركة.. خاصة عندما تتحرر من وجوده أختي سيكون الأمر مثيرًا للريبة وهي خارج المنزل..

انتقل بيسر وراقبت الجسدين ينتفضان..

واحد بعد رحيله وآخر مع استقباله، حملتُه بين ذراعي وذهبتُ لإتمام مهمتي..

بدا الاكتراث الغاضب على وجه "ناصر" بينما ينهض ليستقبلني بحفاوة معتادة:

- إيزيس.. طيب قولي مساء الخير الأول..

كتفتُ ذراعي وأنا أحرر قطي..

أتركه يدور على الأرض بعشوائية غير ملفتة للنظر:

- مش هكتب اللي طلبته يا ناصر..

داهنني بخبث ماكر وازى خطوات اقترابه:

- حتى لو هنضاعف المبيعات ونعمل شريحة جمهور جديدة!..

زممتُ شفتاي بعناد:

- حتى لو..



التحم بصري ببصر "أوزو" الذي اقترب يتمسح في ساق الوقح كأنما يرغب منه في مداعبة..

تأمله "ناصر" بدهشة مستمتعة:

- واضح إني عجبت القطة بتاعتك..

وغمزني بعبث يظنه لطيفًا وهو فقط يثير امتعاضي:

- بتفهم والله..

أهديتُه بسمة باردة مغيظة:

- ده قط..

كنت أريد رد الصفعة..

وطارت الجبهة..

تجمدت بسمته وعقله يستنير لمقصدي.. وقبل مزيد من الحديث حدث الانتقال..

ستظل تلك اللحظة بعيني تاريخية..

فجسد ناشري تصلب لثوان، عيناه تستغيثان بي وأنا أتأمله ببرود..

صوته يتحشرج كأنه يختنق.. يتشبث بمكتبه ويدور حول نفسه بسعال موجع، ثم يعود.. يلتفت إليَّ وتتحول البسمة التي طالما كرهتها لأكثر البسمات جاذبية..

خطفتْ بصري فراقبتُه ببلاهة..

راقبتُ دنوه.. لمسته لكفي.. أنفاسه التي حركت موجات خصلاتي عندما انحنى قرب أذني بهمس دافئ:

- أنا هنا..

هل تتغير النبرة لأخرى بتلك البساطة!..

لا أعلم..

لكنني كنتُ أسقط تبعًا لعجلة جاذبية عينيه ونظرته وابتسامته التي اختلفت..

قبَّل يدي فلم أسحبها، تركتها كالمنومة وتمتمته الخافتة تتسلل إليّ كفخ رحبتُ بإحكامه حولي:

- أنا مش عارف أشكرك إزاي!..

ابتسمتُ بحياء وسحبتُ يدي دون إرادتي.. تأمل هو المكتب الفخم بإعجاب، تحرك ليسترخي بالمقعد الضخم مسبلًا جفنيه براحة..

خطوتُ لأستقر في مواجهته بسعادة حفرتْ تفاصيلها على جوارحي..

فتح عينيه يتأملني لحظة قبل أن يسألني:

- ناصر عاوزك تحطي مشاهد؟!..

وافقتُ بإيماءة ساخطة تبدلتْ للذهول عندما أردف مثالي الأعلى بنبرة تجارية:

- وليه لأ!..

ثم دار بيننا إثر استفساره المقتضب جدال طويل..

جدال أربك كل أفكاري..

بل هدَّها من الأساس فأسقطها على إيماني، مبادئي ومعتقداتي الخاصة..

كان يرى أن السوق هو رقم واحد، نحن نكتب ليقرأ الآخرون.. ومادمنا قد دخلنا عالم الورق فلنلتزم بقوانين ذلك العالم..

وهذا العالم تجاري في المقام الأول؛ لذا على شغفي أن يسيره القانون الأوحد هنا..

المنفعة!..

انشداهي من تبريراته بان على وجهي وبنظرتي وبسمتي التي انحسرت حد أنني هاجمتُه:

- بس أنت عمرك ما خالفت مبادئك..

مط شفتيه بلامبالاة صادمة:

- لأني ماكنتش فاهم صح، ودلوقتِ لازم أعيش الدنيا بقوانينها..

ثم برر بأريحية غريبة:

- يعني إيه مشهد أو مشهدين في سياق الحبكة، يزودوا شريحة الجمهور!..

كدتُ أعترض فأسكتني:

- معظم جمهورك من البنات الصغيرة أو ربات البيوت.. قرائك الرجالة محدودين رغم تيمة الرعب..

لازم شوية ملح وفلفل، وورا ده كله كمان مكسب مادي..

شعرتُ بالإحباط..

رأى ذلك فقرر اللعب على وتر افتخاري بإنجازاتي في عالم الكتابة:

- البيع يعني طبعة واتنين وعشرة.. تفتكري القارئ لما يشتري رواية مكتوب عليه الطبعة التانية أفضل، ولا التلاتين!..

تهدل كتفاي بقنوط تداركه وهو يمازحني بعبث لا يلائمه:

- ممكن أساعدك لو حبيتِ..

سلمتُ له دفة القيادة في مبادرة لم أفهمها من نفسي..

فقط كلماته بعقلي لا تنال سوى التقديس!..

بحماس قرأ مجموعتي..

وبحماس أكبر أضاف ما أراده ناشري، عندما قرأتُ إضافته شهقتُ بذعر ووجهي تكتنفه حمرة قانية جعلتني أشعر باحتراقه:

- إيه!..

كانت منه ماكرة عابثة، علمتُ أنني أبدو كطفلة بلهاء لا تناسب حضور عبقري مثله..

تنحنحتُ بثبات ظاهري:

- جمهوري مش متعود مني على.. الجرأة دي..

وبدلتُ كلمة "سفالة" بجرأة مراعاة لمكانته.. لكنه اقترب لحد أوقف أنفاسي، ولأول مرة ألمح بوجه ناشري وسامة:

- بسيطة.. يتعود..

حينها استسلمت..

بل كل ما فيَّ استسلم..

الآن.. أنا عاشقة!..



(٥)

أحيانًا يصادف الخيار المؤقت.. هوى النفس!..

****

هذا الرجل..

"ناصر"..

يدرك كيف يحيا..

منزله الرجولي بديكوراته الباهظة والخشنة.. سيارته الرياضية، أصدقائه من طبقة لن أحلم في يوم بالانتماء إليها..

ونساؤه..

لم أكن أعلم أن سوق النشر مربحٌ إلى هذه الدرجة!..

وبماذا أخرج أنا ككاتب مسكين من تلك الليلة!..

الفتات..

مر شهر تقريبًا على استقراري بجسده، يعجبني الحال وأتمنى لو يموت لأحتل حياته.. تروقني بشدة، تقترب من يوتوبيا خاصتي عدا أنها ليست فاضلة..

هي جنة مجوني..

البذلة الأنيقة والكاملة في الصباح، وفي الليل!..

حسنًا في الليل غالبًا دون ثياب..

لقد بات هذا الناصر أسوتي ومثالي الأعلى..

كرد جميل وبناءً على عقد مبرم أيضًا نشرتُ مجموعة "إيزيس" القصصية..

أسمتها هي "الدقة السابعة"..

وغيرته كناشر وكـ "أمجد" كذلك إلى "قربان بلا دماء"..

أما الغلاف فكان من اختياري؛ إناء فخاري يسيل على حوافه الدم بعشوائية وبالخلفية روح مبهمة تواجه الناظر إليها..

مبدع.. أليس كذلك!..

أخبرتُها أن اسمها لا يحمل رنينًا جذابًا.. أنه مكرر، ممل وباهت..

واقترحتُ الاسم الذي ارتأيته مناسبًا لتوافق هي بسلاسة أنبأتني بشيء واحد..

الكاتبة الفاتنة تركت لجانبها الأنثوي زمام السيطرة.. وتعلقت بي..

رائع..

المجموعة في الأسواق منذ أسبوع تقريبًا، الكل يشيد بها..

تضاعف جمهورها بالفعل، وتضاعفت مكاسب ذلك الرأسمالي الذي أتلبسه..

عقدتُ العزم على ألا أغادره إلا وقد انتفعتُ من حياته لأقصى حد..

حفلة التوقيع نجحت نجاحًا ساحقًا بكل المقاييس، والاستقرار بدأ يريحني..

اللهم إلا من تمرد شبه محسوس تشنه الروح الأصلية بين الحين والآخر..

تمرد اعتدتُ السيطرة عليه وتحجيمه وإن كنتُ أخشى أن يسيطر هو في مرة فأطردُ أنا وأعود هائمًا بلا مأوى..

أنا في مكتبي الآن، أنتظر حضور "إيزيس" التي هاتفتني تعلن استيائها وحزنها.. أحدهم لم تعجبه قصصها..

أحدهم انتقدها بشكل مهين..

وذلك الأحدهم أعرفه تمام المعرفة..

فـ "رؤوف حافظ".. لا تأخذه شفقة أو رحمة بكاتب، أو بضعف أدواته!..

***

أنا اخترعتُ مصطلحًا لغويًا جديدًا..

نجاح إلا شرطة.. إلا نقطة.. إلا فاصلة..

المهم أنه نجاح منقوص، مبتور.. لا يُستساغ طعمه ولا يُتلذذ به..

مر شهر منذ سكن "أمجد" جسد "ناصر" تاركًا جسد شقيقتي التي استيقظت مذعورة من غفوتها لتخبرني عن كابوس أقرب للحقيقة، كانت بائسة هلعة فطمأنتها وأقنعتها ألا تثقل في الطعام..

منذ أعلنتْ لي مشاعري بغتة أنه بات يملكها، منذ أنبأني قلبي البكر أن هناك من امتلك عذريته..

مر شهر انتهت خلاله طباعة مجموعتي بعد تغيير اسمها كما رآه حبيبي.. وخضعتُ بالطبع؛ فمن أنا لأناقش عبقريته الفذة!..

النسخ الساحرة التي تحمل رائحة حبر الطباعة وخشونة الورق؛ خرجتْ من المطبعة وتم توزيعها على المكتبات.. والأولى وصلت إلى يدي..

تصفحتُها بفخر الناجحين..

هؤلاء الذين ينقشون أسمائهم في مصاف العظماء، من سيتذكرهم التاريخ لأنهم.. تركوا بصمة، أثرًا وعلامة تثبت مرورهم المحفور فوق صفحاته..

نالتْ استحسان القراء، وتضاعفتْ شريحتهم بالفعل..

في خلال أسبوع واحد نفذت الطبعة الأولى وبدأ توزيع الثانية..

حظت بتأييد الجميع، بإشادتهم بجرأة الطرح والأفكار..

إلا واحدًا!..

"رؤوف حافظ"..

ذلك الناقد الذي أعلم عن يقين أنه يقصد إهانتي في كل مرة..

يتعمدها كأنما فرغ العالم من الكتاب إلاي!..

وكعادتي.. تجاهلتُ جميع الآراء الإيجابية وتوقفت عند رأيه هو..

اكتنفني الإحباط والحزن حتى أنني بكيتُ في خلوتي..

فمهما كانت المياه صافية وصفحتها ناعمة؛ يكفيها حجر واحد ليعكر صفوها ويصنع بها دوامات القبح..

لكن أكثر ما أوجعني؛ تلك الكلمات التي ختم بها مراجعته لمجموعتي في مقاله الأسبوعي على موقع أحد الجرائد الالكترونية الشهيرة..

قال بالحرف:

"كنتُ أرى فيها موهبة تستحق بذل المزيد من الجهد لتتألق، نقدي السابق اهتممتُ فيه بالنقاط السلبية والإيجابية وإن كانت محدودة.. أما هذه المرة فأنا لا

أرى أي جوانب مشجعة تدعوني لمنحها حتى نجمة واحدة.. كانت تحظى بشيء من احترامي إلى أن قرأتُ تلك المشاهد الصادمة التي حشرتها حشرًا بحبكات قصصها؛ ففقدت بقاياه"..

أوجعتني كلماته..

شعرتُ بالمهانة وقبعتُ بغرفتي يومين كاملين قبل أن.. أتمنى موته..

لستُ شريرة كما تظنون..

ربما مع هذه الفكرة أدرك أنني طفلة أُخذت منها لعبتها المفضلة عنوة فصرخت وبكت ودبت الأرض بقدميها قبل أن تعلن كرهها الأسود للعالم الظالم الجائر..

لا أعلم..

لكنني في اليوم التالي ورُغم إيماني بالخرافات استيقظتُ على نبأ زلزلني..

خرافات نعم..

معجزات لا..

لأن سقوط "رؤوف حافظ" بذبحة صدرية ثم غيبوبة لم يفِق منها حتى الآن بعد أمنيتي؛ يعد معجزة!..

معجزة لا أؤمن في حدوثها..

لكنني أؤمن بالحظ السعيد..

وحظي السعيد أخبرني أنني وجدتُ الوعاء الأكثر من مناسب لمعشوقي..

فقط..

بضع نبضات أخيرة وينتهي الأمر..

***

أتتني ثائرة..

ساحرة..

في كل حالاتها فاتنة..

ولولا بقايا من تعقل لالتهمتها حتى آخر قضمة؛ فأنا لن أفقد خيطي الوحيد الذي يبحث معي عن وعاء ملائم لروحي المتشبثة بالحياة..

بعد ليلة طويلة قضيتُها مع إحدى نساء "بن قنديل".. هاتفتني غاضبة، حزينة وطلبتْ اللقاء.. انتظرتُها بمكتبي وظهرت بموعدها..

ترتدي سروالًا بسيطًا من الجينز الأزرق، وقميصًا قطنيًا قصيرًا أخضر اللون.. تعشق الأخضر كما يبدو، ربما لأنه يتناغم مع لون مقلتيها حد سلب الأنفاس..

القميص كان ضيقًا لدرجة أشعلت جسدي، حيث صف وشف عن الكثير مما لا يجوز لرجل مثلي أن يراه..

لم أنهض لاستقبالها وهي لم تهتم، ارتمت فوق أريكة مكتبي العريضة وعبرات مهمومة تألقت بين جفنيها..

حينها لم أجد بدًا من مجاورتها.. أمسكتُ بكفها بين يدي في احتواء..

احمممم.. ليس تمامًا، فالاحتواء شعور لا أجيد منحه.. ابتسمتُ لها وجذبتُ رأسها بغتة لتستقر بين ذراعي..

انتحبتْ دون انتفاض كأنها كانت تتمنى تلك الضمة، أعجبني الأمر فابتسمت بعبث وجسدي يقترب بتلقائية لحد جعل جذعها كله يلامسني..

خللتُ خصلاتها بأصابعي في اهتمام..

طمأنتُها أن ذلك الناقد لا شيء وقد نال ما يستحق..

اعترضتْ.. احتجتْ.. بكتْ أكثر، وفي النهاية استكانتْ لمنطقي؛ فهو نقطة صغيرة مالحة في نهر معجبيها العذب..

لن يضر، لن يأبه له أحد.. بل ومتابعيها سيلتهمونه حيًا!..

تراجعتْ قليلًا ولم أرغب في ابتعادها، مسحتْ وجنتيها وتأملتني بعينيها الواسعتين البراقتين بأثر الدموع..

منحتها بسمة ساحرة من بسمات "ناصر"..

بسمة أدرك كـ "أمجد" تأثيرها على النساء، ودون تردد انحنيت عند شفتيها لأمحو بسمتها بتمهل..

لم أرِد إخافتها..

أردتُ إهدائها شيئًا من متعة كونها بين ذراعي رجل..

ورُغمًا عني تحكم الشغف وسيطر، انتصرت أنوثتها على خبراتي الواسعة ونقطة لها..

تبدل التمهل لحرارة، يدي امتدت لتطال منها ما تخطى حدودها الحمراء، بعد ذوبانها في أحضاني انتفضت تتباعد بخجل..

لكن اللحظة حدثت وتوابعها أهم، أعدتُ يدها بين كفي وهمستُ بدفء:

- إيزي.. أنا بحبك..

كاذب!..

لا من فضلكم..

لا تتهموني بتهمة كتلك..

دعوني أخبركم أولًا عن الحب، ولنرَ من منا على حق!..

الحب يشبه قوس المطر.. به سبعة ألوان، لكل لون هدف.. فائدة، بداية ونهاية وإن اجتمعت كلها في الختام الأبيض..

كلا.. لا تحلموا بثوب الزفاف عزيزاتي..

فالرجل لا يدفع حريته ثمنًا إلا لما هو أغلى..

وما الذي يمكن أن يكون أكثر قيمة من حياته!..

لون حبي لها كان الأحمر..

لمَ الأحمر!..

لأنه لون الرغبة.. أنا أشتهيها والقبلة أججت اشتهائي، أود امتلاكها.. والحب!.. صيغة مناسبة لكل أنثى على مر الأزمان..

أخبرها بالكلمة السحرية فتستحوذ منها على المباح.. وغير المباح..

كررها.. وعند كل مشكلة اصدح بها، في مشاداتك معها قبِّلها.. في غضبها منك كن رقيقًا وضمها.. ثم اسحبها بعدها للفراش في مصالحة ساخنة..

افهمها يا عزيزي..

انطلقتُ بعد تصريحي الخاطف في سرد نظريتي عن مشاعري..

أنا وحيد..

عائد من الموت الذي سرقني من حياة لم أستمتع بها بما يكفي..

أصابني الهرم وعندما انتبهتُ انفلتتْ من فراغ أصابعي..

أريد العودة.. أريد حياة معها، لكنني أحتاج لجسد دائم أشعر فيه بالأمان والاستقرار..

أننا نشبه بعضنا..

كاتبين موهوبين، وسأعيش وإياها حياتنا بنظرة مختلفة فريدة..

تتساءلون عن ردها على كلماتي!..

الرد كان مباغتًا.. صادمًا.. وسعيدًا بالقدر نفسه، رقصت عيناها طربًا، ابتسمتْ بشفتيها اللتين أحترق رغبة في العودة إليهما وهمستْ بألمعية:

- لقيت الحل..

من!..

"رؤوف حافظ"..

الميت على قيد "شبه" حياة..

(٦)

هي أنثى!..

إذًا سينتصر الحب..

****

وجدتُها.. وجدتُها..

كدتُ أركض أهلل بها في الطرقات بجنون كما فعل "أرخميدس" أو كما تعرفونه بالنطق الأشهر "أرشميدس" مع اكتشافه لبدايات قاعدة الطفو..

"رؤوف"..

الرجل الذي أكره..

"أمجد"..

الرجل الذي أحب..

ومعادلة سهلة بسيطة لا تتحمل سوى ناتجًا واحدًا صحيحًا..

العشق دومًا يفوز..

فكرت.. قررت.. خططت وما بقي كان التنفيذ وحسب!..

أنا لستُ شريرة، وكتابتي للرعب لا تعني أنني تحولتُ لوحش طليق يعيث في الأرض الفساد..

الرجل ميت على أية حال..

لماذا!..

سألتُ أطبائه، وعلمتُ الكثير من التفاصيل عنه.. وببحث آخر عن حياته الخاصة كذلك..

مطلق.. وحيد..

لا أخوة أو أخوات، والديه توفيا منذ زمن وظل هو وتبغه، قهوته ووحدته..

الذبحة الصدرية لرجل صحيح الجسد وفي سنه الصغير قاتلة لا نجاة منها، وبقائه بالمشفى مجرد مد لأجل محسومة نهايته..

هو حتى لم يصحُ من غيبوبته ولو لدقيقة واحدة..

لذا القرار لم يكن صعبًا وإن كان مخيفًا..

حملتُ "أوزو" معي إلى مكتب "ناصر"، هناك طلبتُ منه العودة إليه.. رمقني بشك حائر متخوف فمنحته ابتسامتي الواثقة..

تذكرتُ قبلته عندما ابتسمتُ له آخر مرة واحمرت وجنتاي..

أكاد أجزم أنه خمن السببِ لأن عيناه طوقتاني بحرارة مستعرة..

هو يحبني.. يريدني..

وأنا أحبه وأريده، أريد حياة كاملة أبدية معه..

استجاب لطلبي بعد تردد، راقبتُ خروجه من جسد ناشري واحتلاله لقطي.. ناشري الذي تهدل فوق مقعده بذهول وتأملني بذعر قبل أن يخبرني باستسلام مرتعب:

- هاعمل لك كل اللي أنتِ عاوزاه..

لقد تعلم الدرس..

مسدتُ عنق "أوزو" بحنو ورفعته بين ذراعي راحلة بلا اكتراث..

فأنا قد نلتُ مبتغاي..

أمام المشفى داخل سيارتي أخبرته بجدية حازمة:

- أمجد.. هتستنى هنا في العربية شوية لحد ما أشوف الأخبار إيه جوا!.. لما أرن على الموبايل ده..

وأشرتُ لهاتفي القديم قرب المقود:

- تسيب أوزو وتيجي.. هيكون رؤوف جاهز لاستقبالك..

شعرتُ بحيرته..

كأنه يتساءل كيف خمنتُ موته اليوم وفي هذه الساعة!..

أهديتُه بسمة مطمئنة:

- عرفت من الدكاترة إن الحالة ميؤوس منها وفي تدهور مستمر.. ومافيش أهل فهيفصلوه عن جهاز التنفس..

بريق مر بعيني قطي الزرقاوين دلل على فهمه.. ربتُ على رأسه لمرة أخيرة وترجلتُ من سيارتي نحو هدفي..

القتل!..

لا لا.. أنا لا أقتل، أنا فقط أريحه من متاعبه وآلامه ووحدته، بل سأعيد جسده الذي لن يهتم به سوى ديدان القبر على قيد الحياة..

خطوتُ بحماس، عند بداية الممر القابعة به غرفته تمهلت خطواتي وتلفتُ حولي بانتباه.. شارف وقت الزيارة على الانتهاء لذا لم يكن هناك الكثير من البشر بالمكان..

بالغرفة التي تطل نافذتها على الغروب في درجته البرتقالية الداكنة وقفتُ أتأمله..

شارف على الأربعين هو.. وسيم بحدة خشنة، تلك الوسامة التي تجذب عينيك لكنها توقفك على بعد مناسب دون اقتراب فعلي..

لحيته نامية خالطها شيب طفيف مثير، وخصلاته على عكسها تمامًا.. سوداء داكنة قصيرة وناعمة..

ابتسمتُ له في وداع:

- شكرا على هديتك..

ثم توجهتُ نحو جهاز رصد نبض قلبه فأوقفتُ عمله..

لا أريد تنبيه طاقم المشفى بموته فيسعفونه.. وأمام جهاز التنفس الاصطناعي ترددتُ لعشر ثوان..

أنا على وشك التسبب في موت أحدهم.. عن قصد!..

هل يستحق العشق تضحية كتلك!..

أجابني قلبي بتهور: نعم، ورابَطَ العقل عند مواطن السلامة برفض مشتت..

حينها انتصر القلب..

انتصر كما يفعل دومًا في حربه داخل كل أنثى..

نزعتُ القابس وأوقفت مده بالأكسجين، سمعتُ حشرجة اختناقه.. راقبتُه حتى همد جسده تمامًا، ثم اتصلتُ بهاتفي المرابض بسيارتي..

كنتُ أعلم أن الوقت المتاح لا يزيد عن خمس دقائق وإلا توقفتْ كل العمليات الحيوية بالجسد تبعًا لتوقف القلب، وعندما يسكنه "أمجد" سيكون مجرد زومبي..

دقيقة أخرى وأحسستُ به يطوف في الحجرة التي غشاها الظلام..

ثوان تالية عاد بعدها الجسد الهامد ينتفض..

ينبض..

يتنفس..

ينفرج جفناه بسعال جعلني أعيد تشغيل جهاز التنفس ليعلو صدره بهواء الحياة..

يفيق ويتأملني ببسمة لم أرَ أشد منها جاذبية..

ذلك الناقد القاسي له كاريزما خاصة أسقطتني في غرام حبيبي مرة ثانية..

أمسكتُ بيده فتعلق بها بهمس حار:

- حبيبتي..

نعم..

أنا الآن أسعد امرأة في الكون.. كما ترون..

***

اليوم هو أفضل يوم مر عليَّ منذ أطلقتُ صرخاتي الأولى في الحياة..

اليوم.. وضع "أمجد" أو كما يؤكد في كل لحظة كي لا أنسى.. "رؤوف"، وضع حلقته بإصبعي..

أصبحنا مخطوبين، خطبة وعقد قران بذات الليلة..

وفي ضوء شرفة منزلنا الخافت حول طاولة عشاء غنية بما لذ وطاب من يد الوالدة أعزها الله التهم شفتي عوضًا عنه..

عارض أبي في البداية كون فارق العمر بيننا يزيد على العشر سنوات، احتج بزواجه السابق وطلاقه غير المفهومة دوافعه..

ثم رضخ عندما أخبرته عن حبي له..

بيني وبين أبي علاقة نادرة..

أنا أعشق ذلك الرجل الحاني.. الرجل الذي أنجب الإناث دون الذكور ودومًا ما لقبني وشقيقتي بأميرتي قلبه؛ لأن أمي مليكته..

سعادتي اكتملت برضاه..

بمصافحته لحبيبي وكلمة "زوجتُك ابنتي" التي نطقها قبل ساعة فأصبحتُ له.. على اسمه وبعصمته..

وأمي منذ اللحظة الأولى وبموازاة ابتسامة "رؤوف" الجذابة سقطتْ بغرامه..

كأم عروسه وبمرتبة أمه بالطبع..

بعدما غادرتنا استقام من مقعده الذي يواجهني عبر المائدة، جاورني على الأريكة الضيقة.. ومتغاضيًا عن المقدمات أغرقني فيه..

ذُبتُ تمامًا بين يديه..

استسلمت.. ثم استجبت وبادلته شغفه بشغف مبتدئ بريء جعله يغمزني بعد تباعده عني لمسافة قصيرة:

- هاعلمك ألف باء حب يا إيزي..

وعاد يلثم شفتاي برقة هذه المرة ومن بين قبلاته المتتابعة يهمس:

- هاعلمك إزاي ترضيني، وإزاي تعرفي إنك راضية معايا..

استشعرتُ احتراق وجنتي مع سفور كلماته ووقاحتها، احتراقًا لم يره في الضوء الواهن كوهن جسدي قربه لكنه خمنه من لمسة كفيه حول وجهي فابتسم بمكر لذيذ:

- حياتنا هتبقى أحلى من الجنة..

بعدها تمتم بأذني وأنامله تزيح خصلاتي:

- عارفة ليه!..

نفيتُ بهزة صامتة فأكمل:

- عشان إحنا زي بعض.. كتاب، بنكتب بشغف.. ودماغنا واحدة..

اعترضتُ بحيرة:

- بس رؤوف ناقد..

داعب ذقني بإبهامه برقة:

- ناقد هيدي شغلك حقه.. وعادي ممكن يتحول لكاتب هو كمان، إحنا في زمن كاتب لكل مواطن..

ضربتُ كتفه بدلال فأمسك بيدي يدفن شفتيه بباطنها ثم انتقل لشفتي..

استسلامي كان تامًا..

بل جنونيًا صاخبًا بمشاعر كالنار.. تحرق فلا تبقي ولا تذر..

***

"أنا حي.. أنا حي"..

كدتُ أهتف بها بنبرة دكتور "فرانكنشتاين" عندما انتفض جسد مسخه واستقام واقفًا، عدا أنني سأبدل الصيغة إلى المتكلم.. الذي هو أنا..

طلبتُ يدها على الفور، فصاحبة التعويذة ستكون لي..

عُقد قراننا وتمت الأمور بسلاسة، ذُللت كل العقبات حتى رفض والدها..

أعلنتُ عن خطبتنا وسط زملائي في الجريدة التي يعمل بها "رؤوف"..

أخذتُ مكانه..

حياته.. منزله ومساحته الخاصة..

وعلى العكس تمامًا من "ناصر".. كان الرجل نقيضه في كل شيء!..

كئيب، منطوٍ.. لا صحبة.. لا عائلة، والمصيبة الأكبر.. لا نساء!..

كيف قضى ذلك الغريب حياته إذًا!..

على أية حال لا يهم..

الآن أنا رجل ذو مسؤولية، مخطوبة فاتنة تسعدني.. حياة راقية أنيقة تليق بي، ومستقبل واعد أنتظر تحقيقه عاجلًا غير آجل..

ثم..

ليل ماجن سأصطنعه لنفسي بخبث؛ فعلاقات الظل دومًا لها مذاقها..

أراكم كرمشتم أنوفكم امتعاضًا، تتهمونني بالخيانة ووضاعة الأصل والحقارة ووو.. الكثير من الألفاظ النابية..

معذرة..

أنا لستُ في مزاج لتبرير رغباتي لأحد..

لذا فليحترق العالم والكون والمجرات كلها مادمتُ أنا متخمًا بالرضى!..

الآن وبعدما قاطعتُ سبابكم يمكنكم استئنافه بأريحية تامة، وسأكون مستمتعًا وأنا أنصت إليكم راسمًا على جانب فمي ابتسامة ساخرة مفادها..

عظيم الامتنان..

هل تغضب الضواري عندما نتهمها بالشراسة والوحشية!..

هل تستاء الشياطين وقتما نلعنها ونخبرها بأن مكانها الجحيم!..

لا..

جيد.. نحن متفقون إذًا..

لِمَ أكتفي بالشيكولاتة وأفوتُ القشدة، ترى عيناي الكراميل وأعجز عن تذوقه.. أو أشتهي التوت فأمنع نفسي عنه!..

من كان منكم قديسًا فليطعنني بخنجر العُهر.. ويخرس..

مهلًا؛ هل تسمعون هذا!..

رنين جرس باب منزل "رؤوف" وبين قوسين (منزلي) الآن بما أنني بتُّ هو..

فتحتُ الباب وكانت تقف من خلفه "أنثى".. بين علامتي تنصيص فالصفة تناسبها لحد مُهلِك..

بعضكم أو الكثيرون منكم يعرفون "Tinkerbell".. هي أقرب صورة للحورية الواقفة بمواجهتي..

هل قربتُ لكم المشهد!.. تريدون مزيداً من الشرح!..

لا مانع لديّ..

فوصف قوالب الفاتنات حرفتي، قصيرة القامة، ضئيلة الحجم كدمية لطيفة.. شقراء ناعمة، بشرتها كالكريمة كاملة الدسم.. وجسدها أكاد أستشعر طرواته دون لمس..

دون لمس حتى ثانية واحدة مضت لأنها في هذه الثانية وما تلاها؛ بين ذراعي!..

سعيد الحظ "رؤوف"..

ذاكرة الجسد استعادت تأثره بها فانفعل.. وذاكرة العقل فتشت عن وجود سابق ووجدته..

طليقته!..

ألم أقل لكم أنه غريب..

من يطاوعه لسانه وقلبه القاسي على مفارقة تلك المارشميللو!..

- رؤوف..

تحشرجتْ نبرتها المبحوحة باسمي في نشيج باكٍ.. أبعدتْ نفسها وحاوطتْ وجهي بكفيها في تأمل خاشع:

- حمدلله على سلامتك، أول ما عرفت جيت على طول..

تكرمتُ عليها ببسمة هادئة وتراجعتُ أنتزع جسدي من أحضانها؛ رد الفعل الأحمق الذي سيفعله قريني الميت.. وملزمٌ أنا به..

طمأنتُها بصوت عميق أجيد افتعاله وقت الحاجة:

- أنا كويس يا فريدة.. متشكر على اهتمامك..

أكلتْ الخطوة التي اصطنعتُها بيننا، يمناها تربت على موطن قلبي وعيناها تتبتلان في محرابي.. تنشدان على قلبي وروحي الشعر..

يالها من عاشقة مسكينة، وياله من باردٍ متعالٍ.. يستحق الموت بالفعل:

- اهتمام إيه بس!..

تعاتبني برقة لينة تذيب الحجر:

- مش عشان سيبنا بعض هانكر مشاعري ناحيتك، كفاية العشرة اللي كانت بيننا..

احتويتُ كفها واحتفظتُ بها فوق صدري:

- مش عارف أقولك إيه!..

الخطة ترتسم في خلفية المشهد من زاويتها على موسيقى ناعمة بلمحة رومانسية عاطفية.. وبعقلي الداعر؛ ماجنة:

- ما تقولش حاجة، خليني آخد بالي منك زي زمان..

لم أفهم مقصدها!..

تجمدتُ للحظة فإذا بها تخلع سترتها ليظهر من تحتها قميصًا ورديًا عاري الأكمام، تناغم مع بشرتها مشكلًا طامة كبرى على وشك الحدوث.. تحركتْ نحو

المطبخ الذي تعرف مكانه وتفاصيله وشرعتْ في العمل..

بدأتْ تعد لي طعامًا أخبرتني أنه المفضل لدي.. وأنها تتذكره!..

تبعتُها وقد خلعتُ حلقة "إيزيس" من بنصري وأخفيتها بجيبي.. أما الموسيقى الناعمة بذهني فتبدلت للحن فاسق يليق بالملحمة التي أنتويها..

هل تأتي امرأة لمنزل رجل وحيد لتُعد له طعامه!..

لعبة قديمة..

وأنا ولحسن حظها في مزاج جيد للعب..

حُمتُ حولها، لامستها في غير قصد أثناء عملها.. كانت تنهرني بعينيها في عتاب متألم كأنما قربي يحرقها..

أرادتْ إناءً من رف عالٍ وأشارتْ إليَّ ظنًا منها بأنني سأحضره، اقتربتُ وحملتُها بمباغتة لأرفعها إليه.. شهقتْ وتناولته بسرعة تملصت بإثرها من بين يدي..

أنزلتها بابتسامة خبيثة مكتومة..

وقفتُ خلفها بينما تقطع اللحم بحرفية ماهرة، انحنيتُ عند أذنها متظاهرًا بالشكر ونفثتُ حرارة أنفاسي بلا رحمة:

- شكرا يا فريدة، مش عارف من غيرك كنت عملت إيه!..

ثم تباعدت..

عدتُ إلى غرفة النوم وكنتُ أعلم أنها ستتبعني بأية حجة..

خلعتُ ثيابي..

في غضون خمس دقائق أنهيتُ حمامًا منعشًا خرجت بعده بمنشفتي حول خصري أبحث عن شيء مجهول في الخزانة بأبطأ ما يكون..

في الدقيقة السادسة أتت..

تأملتني بحنين.. بافتقاد..

لا أنكر أن المرحوم كان رياضيًا وجسده مثيرًا رُغم التبغ الذي أَحرقه هو وأُحرقه أنا أيضًا بلا هوادة..

تبدلت المشاعر بعينيها في تتابع متلكئ لم تتردد بعده في الاقتراب..

أسقطتُ السروال الذي كنتُ أحمله بيدي واستقبلتُها فوق صدري..

عفوًا..

فبعد ثوانٍ كنا فوق الفراش!..

(٧)

عندما يبتسم لك الحظ السعيد..

اسرقه بالكامل!..

***

أنا رجل محظوظ..

فالروح تعشقها فاتنة ذكية تشاركني طموحي العملي..

والجسد تذوب فيه ساحرة دافئة أتخمت رجولتي بأنوثتها وضعفها..

لحظة..

لا..

أنا حقًا رجل مسكين؛ ممزق بين الاثنتين..

أو.. لستُ ممزقًا إلى هذه الدرجة؛ لنعتبر "فريدة" هي الغزوة الأولى في حياة الرجل الصالح والزوج المخلص "أمجد سالم" والمعروف لدى العامة باسم "رؤوف حافظ"..

أول مجون.. أول عبث.. أول فجور..

ويبدو أن "رؤوف" قد بدأ يعجبه الوضع!..

كانت تستلقي إلى جواري في سُبات منهك، فبعد جولة حب ملتهبة تهالكت وغطت بنوم عميق تعلو شفتيها بسمة راضية..

لم ترحل غاضبة أو حزينة كما توقعت!..

هي أنثى شهية لكنها نزوة طارئة؛ فأنثاي ذات الدوام الكامل تحمل اسمي بالفعل..

كنتُ في حيرة..

هل أوقظها ليكرر "أمجد" صناعة مجده الذكوري معها!..

أم أتركها وحين تفيق وحدها تدرك فداحة فعلتها، تنهار وتبكي قليلًا ثم أخبرها بعدها أن هذا كان خطأ شنيعًا لا يليق بي أو بها!..

أننا انتهينا منذ زمن وقصة العشق القديمة التي لم تشفع لاستمرار حياتنا سويًا لن تعود من القبر المدفونة بترابه..

ارتأيتُ أنها فكرة جيدة فغادرتُ الفراش ببطء، تأملتها لحظة وشيطاني يوسوس لي بعودة..

بتكرار وبعدها نتفاهم..

لكن يبدو أن شيئًا من عقلانية صاحب الجسد الذي أسكنه تسللت إليَّ فخطوتُ نحو الحمام..

عندما خرجتُ وجدتها ترتدي نصف ثيابها وفي طريقها لارتداء النصف الآخر.. لمحتني فاقتربت ببسمة حالمة مستغربة:

- كنت مختلف..

كان أحمقًا.. وباردًا!.. هذا كثير..

بادلتُها البسمة بتكلف وأجبتُ باقتضاب:

- Near death experience..

انقبضت ملامحها وأناملها تجول بنعومة حول وجهي:

- ماتجيبش سيرة الموت..

نأيتُ عنها بالكلية، بطرف عيني رأيتُ نظرتها المكسورة فبادرت:

- فريدة..

- أرجوك ما تقولش حاجة..

استدرتُ إليها ونبرتي تكتسي بالذنب الذي من المفترض أن يغرق فيه من كان زوجها:

- لازم نتكلم.. اللي حصل..

- مجرد انفعال، كنت خايفة عليك ومحتاجة أحس بوجودك مش أكتر..

رمقتُها بدهشة تجاهلتْها حينما تراجعت تسوي خصلاتها:

- لحظة ضعف..

جيد..

حلتْ هي المسألة وخرجت أنا كالشعرة من العجين بلا أدنى جهد!..

تسابقت خطواتها إلى باب المنزل وكنت من ورائها كظلها، قربه توقفت بالتفاتة واهنة:

- خلِ بالك من نفسك ومن صحتك.. كفاية تدخين وخفف القهوة..

لمحتُ الدمعة المكبوتة بعينيها ونبرتها وتغافلتُ عنها، ضعفها كأنثى كان محفزًا لرجولتي بشكل مغيظ..

منحتُها بسمة لم تكتمل لأنها هي من بترت اللحظة والبسمة والفراق باقتراب مباغت..

بإهدائي أنوثتها للمرة الثانية كأنها في أشد أوقات ضعفها ورغبتها بي وبقربي..

ومن أنا لأرفض هدية امرأة!..

بعد رحيلها وجدتُ خمس مكالمات فائتة من زوجتي المستقبلية، تطمئن عليَّ..

ثم رسالة صوتية قصيرة ظهر بصوتها فيها القلق..

هاتفتُها وطلبتُ لقائها.. كنتُ في حاجة لرؤياها، في حاجة للعودة لذاتي، لكتاباتي..

اشتقتُ لممارسة شغفي، ومن سواها قد يغدق عليَّ بالأفكار ويكون لي مصدر إلهام!..

قابلتُها وبحلاوة شفتيها محوتُ وجود أخرى..

لم أبحث عن خلاص من ذنب أو دنس طال روحي، لا.. أنا فقط أحب مذاقها..

استقبالها لي كان حارًا حماسيًا والتحفز يطل من بؤبؤيها المنفجرين بطاقة غريبة لم أفهمها حتى أخبرتني بوله:

- أنا هكتب قصتنا..

ارتفع حاجباي دهشة وقتما أردفت هي بحالمية:

- هتكون روايتي الجديدة، رعب بتاتش رومانس..

يالها من فكرة عبقرية تليق بي أنا!..

ابتسمتُ لها بحب أتقن إظهاره، دعمتُها وشجعتُها..

خطتها كانت كتابة الحلم..

وخطتي كانت..

سرِقَته!..

***

أنا لا أصدق..

كنتُ أظنه سيعارض، يخبرني أن الفكرة قد تثير الشكوك حوله.. أن الأمر مربك ومقلق..

لكنه دعمني وشجعني..

كم أعشقه، وفي كل يوم أعشقه أكثر..

العبقري الذي ألهمني قفزتي الكتابية نحو مستقبل لامع سأصله بفضله باكرًا.. وبخطوة واحدة..

العبقري الذي اختارني على العالم أجمع..

قبل فترة سألته ألا يشتاق لأولاده!.. ألا يريد رؤياهم والحديث معهم!.. لكنه كان بسيطًا، منطقيًا لأبعد حد..

هو الآن ليس "أمجد سالم" الكاتب المعروف، هو ناقد ومعروف أيضًا؛ لكنه لا يمت لأولاده بأي صلة قربى تدفعهم نحوه..

يومها اقترحتُ أن يراهم على أنه صديق والدهم.. ورحب بشدة، بل ضمني مبتهجًا فرحًا بي.. فأحببتُه أكثر..

بدأتُ في الكتابة بالفعل..

كان يقرأ مسوداتي، يعجب بمشهد ويناقشني في آخر..

يضيف شيئًا، يمحو شيئًا..

أعجبه شغف كتابتي لهاته القصة، تلبسته روح الناقد حين الحاجة وظل كاتبي المفضل دائمًا وأبدًا..

أسميتُها "هودو"..

أدهشه المنطوق في البداية ولم يخمن معناه..

دهشته ألجمتني للحظة فقد كنتُ أظنه يعلمه بحكم طبيعة كتاباته وثقافته الواسعة!..

على أية حال لا أحد يعلم كل شيء..

شرحته له..

"الهودو" هو فلكلور سحري يمارسه الأمريكيين من ذوي الأصول الأفريقية، سحر أسود وقديم..

له طقوسه التي تستخدم الظواهر الثقافية وما هو مبتكر منها، حتى أصبح من تقاليده الآن استخدام الأرقام التوراتية.. وهو تقليد فعال للغاية..

الكلمة تصف نوع السحر المستخدم وتغيرت بين مترادفات عديدة لتشمل معاني أكثر، ومن ضمن هذا الكثير الاتصال بعالم الأرواح واستحضارها، والأعمال السفلية..

صفق إعجابًا به..

ثم اقترح أن نضيف تحت الاسم ترجمة بسيطة له.. "محاكاة روح".. ووافقتُ بالطبع..

مع تزايد الصفحات كان يظهر انبهاره بألمعيتي وذكائي وسردي ومشاعري..

ثم بموازاة كلمة "تمت" أعلن النبأ الأهم بعمري كله..

لقد حدد مع والدي موعد زفافنا..

وها أنا أعيش الحلم في رقصة بين ذراعيه، ليلتها همس لي قبل أن نصعد إلى غرفتنا بخبر جديد.. عظيم:

- الرواية في المطبعة..

سافرنا لشهر العسل الذي بات عسلًا حقيقيًا لا مجازًا..

قضيتُ أسعد أوقاتي معه..

يوم عودتنا كانت كل خلية في جسدي تتقافز تحفزًا للإمساك بروايتي التي تسلمها "ناصر" من المطبعة..

وعندما أمسكتُها ضربتني مفاجأة لم أتوقعها في أشر خيالاتي جموحًا..

أنا لم أجد اسمي ككاتبة..

بل اسمه هو..

"رؤوف حافظ"..

الحلم الذي سلب مني حلمي!..



(٨)

وقت الحاجة؛ قم بتحوير الحقيقة..

أنت لا تكذب، لكنك تتجمل!..

***

مجنونة..

أنا تزوجتُ من امرأة مجنونة..

فاتنة نعم..

لكنها كذلك مجنونة حد الصراخ بوسط مكتب "رؤوف" واتهامي بالسرقة..

ثم البكاء.. الحزن، والهروب!..

أعطيتُها مساحتها الشخصية لتستوعب ما حدث..

أعلم أن الأمر ثقيل عليها، بعيد كل البعد عن إدراكها.. لكنها هي من تجهل حقيقتي!..

وللجهل ثمنه..

عدتُ بعد انتهاء دوامي بجريدتي، منتفخًا كطاووس يدرك أنه حقق مبيعاتٍ خيالية في أول عمل روائي طويل يحمل اسمه؛ خاصة مع المشاهد التي أضفتُها من بنات أفكاري، أو لنقل واقعي..

حيث أنا وزوجة "رؤوف" السابقة وليلة حمراء ماجنة..

تلقيتُ التهاني والتبريكات من زملائي..

ومن الناشر السعيد بحسن طالعه وقد اقتنص الكاتب الجديد قبل أن يسيطر عليه سوق النشر..

وجدتُها منطوية حول نفسها على أريكة غرفة المعيشة أمام فيلم سخيف يعرضه التلفاز..

جفتْ دموعها وتركتْ أثرها على وجهها النضر.. حدجتني بنظرة لائمة واستقامت تواجهني بعنف:

- أنت سرقت حلمي..

وازيتها بوقفتي فأجبرتها على رفع رأسها لتواجه عيني، همستُ بصوت متأثر:

- كنت فاكر إن أنا حلمك..

أُخذت للحظة كأنها لا تصدق صفاقتي، ولم أترك لها فرصة استرداد نفسها.. حاوطتُ كتفيها بيدي وبررت:

- أنا كنت محتاج عمل زي ده أبتدي بيه مشوار رؤوف الكتابي يا إيزي.. لازم حاجة تسمع مع الناس..

- فتسرقني!..

عقدتُ حاجبي بافتعال ضيق:

- دي مش سرقة، أنا بطل الحدوتة دي وساعدتك في كتابتها..

- أنت بتستهبل!..

حان وقت الجد..

حررتُها من قبضتي ورمقتُها بنظرة صارمة:

- خدي بالك من كلامك يا إيزيس..

ثم درتُ حول نفسي بدفاع مناسب:

- ماكنتش فاكر إنك هتتصرفي بالشكل ده، كأن اسمي على الرواية كتير عليَّ..

سمعتها تتمتم بهذيان:

- عشان كده عجلت بالفرح، نسافر ومافيش متابعة مني للطبع ولما أرجع أتفاجئ باسمك على روايتي..

عدتُ ألتفتُ إليها بحنق حقيقي:

- روايتنا..

يبدو أنني صدقتُ نفسي!..

كنتُ منفعلًا وبدايات ثورة تتسلل إليّ، خطوتُ إليها باندفاع هجومي أخافها فانتفضتْ:

- روايتنا يا إيزيس، من حقي اسمي يكون عليها..

صرختْ بأنين:

- اسمك لوحدك!..

وأشارتْ لنفسها ودموعها تهطل:

- أنا كتبتها، أنا صاحبة الفكرة..

من الواضح أن مسلك الصراخ غير مجدي، واللين كذلك..

لنجرب الحب!..

ضممتها قسرًا فتملصتْ، تشددت ذراعاي حولها فارتجفتْ وبعد ثوان استكانت بأحضاني باكية بصمت..

تكررت همساتي العاشقة وقبلاتي الدافئة لخصلاتها وأذنها:

- إيزي.. أنا بطل الفكرة والحلم..

وانحدرتُ بشفتاي إلى فكها ومنه إلى عنقها:

- كنت فاكر هتفرحي لي، كاتبك اللي بتحبيه بيرجع السوق بعمل قوي وما تنكريش إني شاركت فيه بأفكاري.. أنا محتاج بداية قوية..

وأبعدتُها أسيطر على بصرها بعينين حنونتين:

- تفتكري الموت تجربة هينة أو بسيطة!.. كنت محتاج دفعة زي دي ترجعني لحياتي وشغفي بالكتابة..

ثم أعدتُها لأحضاني بضمة رقيقة:

- النجاح بتاعنا إحنا الاتنين، اعتقدت إن سعادة مثلك الأعلى تهمك!..

تصلب جسدها لثوان نظرتْ عقبها بعمق عيني:

- أنت أهم حد عندي في الدنيا..

انحنيتُ لشفتيها باشتياق:

- يبقى متفقين..

ونلتُ الموافقة..

أنا لم أكذب..

فقط زينتُ الحقيقة بعض الشيء، جوار ضمة وقبلة ولعب على وتر العاطفة..

أنا الخبير بعالم النساء قد فزت..

كما هو متوقع..

***

مر شهرين على زواجنا..

مرَّرتُ ما حدث ووقفتُ إلى جواره في كل حفل توقيع أشيد بعبقريته وأبتسم بسعادة حقيقية وإن كانت منقوصة لنجاحه..

أليست هذه هي مواصفات الزوجة الصالحة!..

في السراء والضراء.. والسرقة!..

حتى الموت!..

مع إشادة الجميع به كانت الكلمات كطعنات صغيرة تسدد لصدري، أحبه نعم.. لكن ذاك كان نجاحي أنا!..

الآن نحن في حفل أقامه الأبله "ناصر" على شرف كاتبه النابغة الذي يراه معجزة في عالم النشر الورقي..

أخذني بين ذراعيه في رقصة هادئة لم يتوقف خلالها عن إغراقي بنهر الكلام العذب، واللمسات الخفية التي تعبر عن شوقه وتسعد أي أنثى..

لكنني لم أكن سعيدة..

تعاستي ظهرت على ملامحي حتى أنه همس لي بضيق:

- افردي وشك مش كده، ده نجاح جوزك اللي هو نجاح ليكِ..

اصطنعتُ بسمة باردة أحرقتُ بها عينيه، بسمته هو استغربتها ثم استنكرتها؛ فقد وصلتني صادقة!..

بعدها جذب يدي إلى منتصف المكان وأعلن بفخر بعد مقدمة قصيرة:

- نجاحي ده باهديه لمراتي وشريكة حياتي الكاتبة الموهوبة "إيزيس عادل"..

راقبتُه بجمود يميل إلى جبيني بقبلة دافئة صفق لها الحضور قبل أن يكمل:

- اللي من غيرها ماكانش رؤوف حافظ ممكن يكون موجود بينكم النهاردة..

رباه!..

سمعتُ الكلمات تتردد من حولنا..

إعجاب النساء الموجه إليه..

تمنيهن زوجًا مثله يعترف بدعم امرأته.. بل يشيد به!..

أما أنا فقد كنتُ مبهورة الأنفاس والنظرة والجسد..

هو مثالي الأعلى حقًا..

واقعيًا لم يولد الرجل الذي يفعل ما فعل الآن وأمام جمع غفير من زبدة المجتمع الكتابي..

تشبثتُ بيده فضغط كفي بحنو وأهداني نظرة عاشقة أخجلتني ورفعتني لعنان السماء..

الأنثى.. في العشق حمقاء، بلهاء وأحيانًا مخبولة!..

والسعادة أبدًا لا تكتمل.. ذلك نهج الحياة..

لأنه في اليوم التالي وبعد ليلة غرام لاهبة قابلتُها..

لا، هي من أتتني حتى باب داري لتخبرني بانكسار متوسل:

- أنا طليقة رؤوف..

التبس عليَّ الأمر لحظة وهي تستطرد:

- ممكن نتكلم!..

أفسحتُ لها واستضفتُها على مضض بكوب عصير بارد فما علاقتي.. بل علاقتنا أنا وأمجد بها!..

حتى وإن كان يعيش في جسد زوجها السابق!..

جلستْ بهدوء ووجه شاحب لم يبخس من فتنتها ذرة:

- ممكن تكلميه!.. أنا حاولت كتير أتصل بيه بس رافض يرد على مكالماتي، والموضوع ما ينفعش يتأجل أكتر من كده..

لم أفهم ما تقصده!.. تمتمت بسؤال بديهي:

- أكلمه ليه!.. وموضوع إيه!..

- أنا حامل..

- إيه!..

وقفزتُ من مقعدي كأنما لدغني عقرب..

ربما هو عقرب بالفعل، سام يجيد التسلل والقتل!..

قصتْ عليّ ما حدث، كيف حملتْ بجنينها.. عن توقيت الحمل وأنها أتمتْ شهرها الثالث قبل أيام..

وبمعادلة صغيرة أيقنتُ أنه.. خانني..

لقد عاشرها وأنا زوجته، في فترة عقد قراننا..

لم يكن "رؤوف" الذي طلقها قبل عامين؛ بل "أمجد".. زوجي وحبيبي وقدوتي..

***

رحلتْ وتبعتُها بلا تأخير..

لم أستطع البقاء ببيته، لم يمكنني الاقتراب من شيء يخصه أو حتى استنشاق عبق عطره العالق بالمكان..

كاذب..

سارق، والآن خائن!..

همتُ على وجهي في الطرقات كالمجاذيب دون هدى..

كنتُ أتلفتُ حولي بحثًا عن جواب لن يمنحه لي أيًا من الوجوه التي قابلتها وطالعتني في دهشة كأنني مجنونة..

توقفتُ أمام أول نافذة عرض زجاجية لأتبين ملامحي واكتشفتُ سر نظرات البشر الموجهة لشخصي..

فدموعي أغرقت وجهي بأثر أسود سببه "الماسكرا"..

بدوتُ كطفلة هاربة من احتفال "هالوين"..

دلفتُ للمكان الذي توقفتُ عنده بلا تمييز وسألتُ الواقف داخله:

- لو سمحت.. ممكن تويلت!..

ابتسم لي بود وأشار إلى ركن جانبي ركضتُ إليه، وهناك حررتُ نحيبي المكبوت بشهقة طويلة.. غسلتُ وجهي وأصلحتُ من حالي المشعث ثم خرجت..

للمفاجأة وجدتُ نفسي بمكتبة!..

أرفف الكتب المتراصة من حولي، ذلك المشهد الذي أذوب فيه وأعشقه.. الرائحة وألوان الأغلفة والأسماء التي أعجبني بعضها والآخر نال استيائي..

حتى أنني تجمدتُ عند واحد منها، فاز بذهولي وعن جدارة..

"الفضاء الملعون"..

بقلم "أمجد سالم"..

الاسم كان تافهًا مكررًا، لم يمر عليَّ من قبل واستغربتُ كوني قرأتُ كل كتاباته.. بل كل حرف!..

سألتُ الرجل باهتمام:

- هي الرواية دي جديدة!..

تابع إشارتي بفطنة:

- لا قديمة.. هو الكاتب ده عامة مات الله يرحمه..

أومأتُ ببديهية بسيطة:

- أيوة عارفة، بس أنا قريت كل رواياته وأول مرة أشوف دي..

صمت الرجل لثوان قبل أن يستنير بتوضيح:

- لأ.. ما هو في اتنين كتاب باسم أمجد سالم، واحد منهم كاتب رعب.. والتاني اللي هو ده كاتب خيال علمي، كتب تلات روايات بس..

ومال نحوي بهمس ممتعض:

- وبيني وبينك.. مش قد كده، طبعا بخلاف العبقري الله يرحمه..

تغضن جبيني بلحظة تفكير، اشتريتُ بعدها الرواية بموازاة دهشة البائع، بمنزلي التهمتُ صفحاتها المملة بجوع..

حبكة سخيفة، معالجة ضعيفة، أفكار مسروقة من عدة أفلام أمريكية وللغباء شهيرة..

لغة شبه جيدة..

لغة أعرفها!..

فتحتُ حاسوبي وقمت ببحث سريع باسمه، حصلتُ على اسمي الروايتين الأخريين وبتصفح دقيق أدركتُ الحقيقة المُرة والمضحكة بذات الوقت..

لقد كانت هذه سقطة أخرى، بل مهزلة..

لو جمعتُ وطرحتُ وضربتُ ثم قسمتُ كل حساباتي السابقة؛ سأحصل على ناتج واحد..

أنا حصلتُ على الروح الخطأ!..

(٩)

وقت الحاجة.. كن صفيقًا وقحًا، وبلغة دارجة..

"بجح!"..

***

لم تكد الأمور تستقر..

حقا الأمر مر عليه يوم واحد فقط!..

لأنه في التالي وبعد سيطرتي عليها بلغة الفخر والعشق والجنس حدثت الكارثة التي لم أتوقعها..

زوجة "رؤوف" السابقة التي أهدتني نفسها بلحظة ضعف.. حامل!..

يالي من سعيد الحظ..

ليس هذا فقط، بل وجدتُ زوجتي العزيزة تواجهني بغضب حارق وسؤال ألجمني لثانية واحدة:

- أنت مين!..

واحدة فقط، ففي التالية تمالكتُ أعصابي واستخدمتُ السياسة الأشهر بمثل هذه المواقف..

الهجوم خير وسيلة للدفاع، حقًا "نابليون" كان نابغةً.. وفي عاميتنا اللطيفة "قلبتُ الترابيزة" وعلى رأسها:

- أنتِ اتجننتِ يا إيزيس!.. كل يوم بموضوع!..

نقرتْ صدري بتقرير يوحي بيقين:

- ده الموضوع الأهم يا أمجد..

- رؤوف..

نبهتُها وتغاضتْ باستطرادة معاندة:

- أمجد سالم.. صاحب الفضاء الملعون، البلورة السوداء، جليد فوق المريخ..

وواجهتني بحدة وقد تصلب جسدي تمامًا:

- أسماء غبية وقصص ضعيفة، عشان كده سرقتني..

أخذتني المفاجأة لعشرين ثانية، ثم عدتُ لسياستي بتصفيق حار وابتسامة ساخرة..

توسعتْ عيناها وأنا أردد بتهكم:

- طب والله برافو، الموضوع أخد منك كام شهر بس..

- يعني بتعترف!..

- وأكذب ليه!..

ثم تنفستُ بعمق هازئ:

- طب ده يااه، وأخيرا يعني..

وانحنيتُ قرب أذنها بهسيس مستخف:

- على الأقل أتصرف بطبيعتي..

تراجعتْ برجفة مرتْ بجسدها، رجفة تأملتُها ببرود وهي تعاتبني بنظرتها الواهنة:

- أنا حبيتك..

أوقفتُها بجدية حقيقية:

- لأ يا إيزي.. أنتِ حبيتِ قدوتك اللي عاشت عمر في خيالك..

صرختْ تواجهني بألم:

- لأ.. حبيتك أنت..

تحركتُ تجاهها خطوة واحدة مندفعة:

- أنا الروح ولا الجسد ولا الفكرة يا إيزيس!..

وخطوة ثانية واجهتُها فيها بما ترفض الاعتراف به:

- أنتِ حبيتِ أمجد سالم، الكاتب الفذ مش أنا..

نفتْ تهز رأسها باحتجاج:

- أنا حبيت الانسان اللي عاشرته وقربت منه.. كنت باقدس الصورة اللي في خيالي، بس حبيتك أنت..

والتفتْ توليني ظهرها بانكسار:

- كنت باسمع كلامه عشان إيماني بعبقريته، وبابص لك كأنك الراجل الوحيد في الدنيا..

بدأتْ تدور حول نفسها بجنون عبثي.. بضياع وتيه.. بفوضى واشتعال:

- وأنت خنتني..

أشرتُ باستخفاف:

- ما تكبريش المواضيع، دي كانت لحظة ضعف منها وكنت مجبر أجاريها بصفتي رؤوف..

فكرتُ تاليًا لثوان متغاضيًا عن انشداه ملامحها:

- أنا ماكنتش عاوز، بس رؤوف لحظتها سيطر ومش فاهم إزاي!.. روحي إديته مساحة حرية مفاجئة خلت القديس يتحول لفاجر..

وتظاهرتُ بالعمق مردفًا بفلسفة رجل بحتة:

- روحي حررت الجسم اللي كان مكبوت في حياة رؤوف الحقيقي، كان عايش ميت..

تجمدتْ تتطلع إلي بصدمة:

- أنت.. أنت بتتكلم جد!.. بتحاول تبرر!..

صرختُ بوجهها مهتاجًا، حاولتُ إخافتها وكدتُ أنجح:

- دي الحقيقة، فوقي بقى.. أنتِ فاكرة لو كان أمجد اللي أنتِ مستنياه هو اللي روحه حضرت كان هيعيش معاكِ قصة الحب ويتجوزك وتكملوا في تبات ونبات!..

وأغلظتُ قبضتي بقسوة فوق لحم ذراعها:

- فوقي يا إيزيس.. أنتِ كاتبة رعب أينعم؛ بس عايشة في رواية رومانسية خيالية..

نفضتُها بعيدًا وأطحتُ بمزهرية كانت تستقر على طاولة إلى جواري:

- ما هو أنا مش أموت بغلطة وكمان مايبقاش لي الحق أحاول أرجع للحياة..

انتعش فضولها كما خمنت.. طغى على ضعفها ووهنها وغضبها..

هي كاتبة والقصص حرفتها، وهوايتها.. لقد عزفتُ اللحن المناسب فوق الوتر الصحيح..

همهمتْ بسؤال أسبغتْ عليه اللامبالاة قدر استطاعتها:

- أنت مت إزاي!..

خللتُ شعري القصير بأصابعي في حركة خشنة، نفختُ بزفرة حارة واستعدتُ الذكرى.. الحمقاء!..

الأقراص المنومة!..

كنتُ أبتلعها بسبب أرق غير مبرر..

احتراقي بتبغي مع فشل روايتي الأخيرة وضعف مبيعاتها.. الخمر التي اعتدتُ معاقرتها حين يتطلب مزاجي باتت يومية..

هنا حدثت الحماقة..

تفاعلت أقراصي -التي هي بالمناسبة كانت علاجًا وصفه طبيب مبتدئ لحساسية جيوبي الأنفية- مع الكحول..

الأثر كان قاتلًا..

ولأنني أحيا وحدي غادرت روحي جسدي ولم يشعر بها أحد حتى أتتني إحدى نسائي بعد موتي بيوم كامل!..

استدرتُ إليها بغصة تضطرم بالغضب:

- حياتي انتهت فجأة، من غير قصد ولا ميعاد ولا حتى في الوقت المناسب..

لمحتُ بسمتها الساخرة المريرة:

- هو الموت فيه وقت مناسب!..

صحتُ بها بحدة:

- أيوة.. أنا ما كنتش مستعد أسيب الدنيا..

- ما شبعتش.. قلت لي قبل كده..

- هه.. بالظبط..

ثم اقتربتُ منها بتهكم لاذع أحرق به روحي:

- عارفة المنوم ده كان اسمه إيه!..

رمقتني بنظرة متسائلة جاوبتُها وأنا أفرد كفاي بحركة مسرحية، فالمفارقة مضحكة حد البكاء:

- Hudu..

اختض جسدها بدفعة غامضة:

- هودو!..

- شفتِ!.. حتى في موتي أنا وأنتِ لايقين ببعض..

أمسكتُ بيدها أضمها بين يداي فوق صدري:

- إيزي.. مش مهم إذا أنا اللي كنتِ بتدوري عليه في لحظة عدت خلاص أو مش هو..

ولامستُ وجنتها بكفي بنظرة أدرك أنها ستسقطها حتى قاع الهاوية:

- المهم أنتِ بتحبي مين!..

هدفي التالي كان شفتيها المنفرجتين بأنفاس سريعة لاهثة:

- بتحبيني أنا.. مش كده!..

وصبغتُ لهجتي بالخوف، بالترقب والتوسل:

- بتحبي أمجد اللي عاشرتيه وعرفتيه، أمجد حبيبك وجوزك!..

استسلامها كان مؤكدًا..

وقبلتي كانت وشيكة!..

***

يظن أنه سيعود لمنصب المسيطر والمتحكم في تلك العلاقة!..

بكلمات معسولة كاذبة، لمسة ناعمة وقبلة شغوف!..

يظن أن الأمر يمكن أن يمر كما سبقه!..

واهم..

تباعدتُ في اللحظة الأهم..

حينما لامس شفتاي وقبل الاستحواذ التام، تركتُه معلقًا بين شهوة القرب وتردد البعد..

استدرتُ وأجدتُ دوري..

أنا أكتب الرعب ويمكنني أن أمارسه كذلك!..

دمدمتُ بصوت كالهذيان:

- حبيتك وأنا كنت فاكرة إني بادي مشاعري لحلم عمري.. عشت معاك ووافقت أتجوزك وأنت في نظري القدوة والمثل الأعلى.. عملت المستحيل عشان تعيش..

التفتُ إليه، اندفعتُ نحوه.. ضربتُ صدره بصياح أبح دامع:

- أنا حتى قتلت عشانك..

رأيتُ ذعر ملامحه، استشعرتُ تصلب جسده، جموده.. بل بهوته، الصدمة.. الخوف، التراجع والابتعاد:

- قتلتِ!..

وصمتَ لحظات جمع بعدها كل الخيوط كما يليق بخبيث مثله:

- رؤوف!..

انهرتُ بألم مفتعل:

- رؤوف.. قتلته عشان بحبك، عشان عاوزة نكمل حياتنا مع بعض..

بعدها انتفضتُ أواجهه بغضب:

- والمقابل إيه!.. كذبت وخدعت وخنت.. أنت خنتني وأوهمتني إنك واحد تاني..

راقبتُ تفاحة آدم خاصته تتحرك بعسر..

كأنما يزدرد لعابه وتوقف بعرض حلقه فاختنق وكرر:

- قتلتِ!..

واجهتُه بقسوة، تعتلي عيناي نظرة شريرة.. شرسة:

- أيوة.. عشانك، واللي يقتل مرة مش صعب يقتل التانية..

اقتربتُ من عقربي اللطيف الذي تمكن من قلبي وروحي.. اقتربتُ كأفعى رقطاء سامة تنتظر لحظة هجوم مباغتة:

- لو خنتني تاني؛ هاقتلك أنت!..

وكفي تتحسس خشونة وجنته برفق ناعم، تشنج لثوان ثم تابع تمثيل دوره:

- أنا شرحت لك الموقف يا إيزي.. مستحيل أخونك..

دُرتُ حوله بتلكؤ راقبه هو بتوجس:

- وأنا متفهمة..

قابلتُه في وقفتي بعد خطوة واحدة:

- الولد اللي فريدة حامل فيه، هيتكتب باسم رؤوف حافظ.. وفلوس الرواية اللي سرقتها مني نصها ليه..

هنا ظهر الجشع الكامن بداخله:

- أنتِ مجنونة يا إيزيس!.. تبقى تثبت..

ضحكتُ بمرارة ساخرة:

- لو عملت DNA هتثبت يا رؤوف، الحل السلمي أفضل صدقني.. ده اتفاقي معاها..

راقبتُ رعشته..

صمته..

سقوطه فوق الأريكة.. وخضوعه!..

جاورتُه وكفي تربت على ركبته بمواساة مصطنعة:

- مافيش حاجة ببلاش يا حبيبي، لازم تدفع التمن..

وقررتُ إحكام حبكتي كأنشوطة حول عنقه فألقيتُ بنفسي بين ذراعيه:

- أنت معاك حق.. أنا وأنت نليق ببعض، أنا قتلت أنت سرقت وكذبت وخنت.. معادلة موزونة..

ارتج جسده فجأة بضحكة أيقنتُ أنها هازئة.. خانعة:

- إيه جو غرام الأفاعي ده!..

ابتعدتُ برأسي حتى قابلتُ وجهه، شفاهي عند شفتيه، تنفرجان ببسمة ماكرة لعوب:

- لأ.. ده غرام الشياطين..

وهاته المرة..

كانت البداية، القبلة والحصار بمبادرتي أنا!..

خاتمة

لا علاقة لها بالأبطال!..

مرحبًا..

أنتم تعرفونني..

التقينا من قبل وإن كان اللقاء عابرًا..

أنا "فريدة النجار"..

الزوجة السابقة للناقد الصادق "رؤوف حافظ" رحمه الله..

أراكم تظهرون الدهشة!..

نعم.. أعلم أنه رحل، أن ذاك الذي يحتل جسده ويستعمره ليس هو..

ليست روحه..

كان مختلفًا وأخرسني بحديثه عن تجربة الدنو من الموت، عاطفتي وقتها أعمتني عن الكثير..

عن تباين التفاصيل بينه وبين من عشقتُ طوال عمري..

هل تستغربون ردة فعلي!..

تتساءلون عن كيفية معرفتي بالحقيقة!..

في الواقع الأمر بسيط للغاية..

تلك الرواية التي من المفترض أن زوجي السابق كتبها ونُشرت باسمه، كعاشقة مخلصة اشتريتُها وأكلتُ حروفها أكلًا كأنني أعوض غيابه بحضور كلماته..

من بينها كان مشهدًا واحدًا أعرفه حق المعرفة..

مشهدًا عشتُه معه..

بين أحضانه وبفراشه في لحظة خطيئة قلب!..

مشهدًا أضاف عليه هو المزيد والمزيد من البهارات الحارة لأرى نفسي به.. مجرد عاهرة..

وحبيبي لم يكن ليفعلها..

أبدًا..

استعدتُ الوقت الذي قضيناه سويًا، تذكرتُ أدق اللحظات واللمسات، حتى همسه واختلاف اقترابه..

كدتُ أصاب بالخبال..

هو.. القلب يصرخ بلا، والعقل يتعامل بمنطقية الواقع والحدث..

حتى قررتُ البحث عن مزيد..

ذهبتُ لزوجته رغم أنها طلبت مني عدم العودة بعدما خططتْ لأنال كامل حقوقي..

عندما واجهتُها ألقيتُ على مسامعها ما أظنه الحقيقة بنبرة صلبة:

- أنا عارفة إن جوزك مش رؤوف..

ولم أكن أتخيل السيل الذي انفجر بوجهي.. غاضبًا، هائجًا، نادمًا..

سيل الحقيقة الخفية!..

الآن أنا سأعيد حبيبي..

حضرتُ كل المطلوب وباحترافية تليق بعاشقة متفانية..

خبير في استحضار الأرواح..

وسيط محايد وممتاز..

غرفة مجهزة.. وأنا!..

سأعيد من أحببت وإن كان الثمن هو.. الموت..



نصيحة أخيرة..

لا تمارس السحر بلا خبرة..

ففي ذاك العالم لا شيء مجاني..

في ذاك العالم لا شيء يأتيك بلا مقابل؛ والمقابل قد يكون ما لا يمكنك التنازل عنه!..

تمتْ بحمد الله

صابرين الديب

٢٠١٩/٢/٢

حلم-هن